

قَصْرُ النَّبِيِّينَ للأطفال

تأليف
أبو الحسن عليّ الحسيني الندوي

مؤسسة الرسالة
ناشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

غاية في كلمة



للطباعة والنشر والتوزيع

قطن المصنطة
شارع حيت أي شحلا
بنيام الشكر
فانق: ٣٩٩٠٣٩ - ٨١٥١١٢
فلكس: ٨١٨٦١٥ (٩٦١١)
صرب: ١١٧٤٦٠
بيروت - لبنان

*Resalah
Publishers*

Tel: 319039 - 815112
Fax: (9611) 818615
P.O.Box: 117460
Beirut - Lebanon

Email:
resalah@resalah.com

Web Location:
Http://www.resalah.com

جميع الحقوق محفوظة للناسخ
الطبعة الأولى
١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

حقوق الطبع محفوظة © ٢٠٠١ م - لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو
أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام
ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه .
ولا يسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى
دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر .
①



للباحث الداعية الأستاذ سيد قطب

عرفت صاحب هذا الكتيب «السيد أبو الحسن الندوي». عرفت في شخصه وفي قلمه. فعرفت فيه القلب المسلم والعقل المسلم، وعرفت فيه الرجل الذي يعيش بالإسلام وللإسلام على فقه جيد للإسلام. هذه شهادة لله وأُوديتها، وأنا أقدم هذه الطبعة من ذلك الكتيب الصغير.

وقصص النبيين للأطفال - على صغر حجمه - عمل جليل يضاف إلى أعمال السيد أبي الحسن وإخوانه الأفاضل في حقل الدعوة الإسلامية. فليس الكبار وحدهم هم الذين يجب أن يبلغ إليهم الإسلام في صورته النقية، بل إن قلوب الصغار لأحوج إلى هذا الغذاء، ليشبوا وطعم الإيمان في نفوسهم، ونوره في

قلوبهم، وبشاشته في أرواحهم، والقصص هي المادة الأولى التي تفتح لها تلك القلوب الصغيرة البريئة.

وهذا الكتيب - وإن كان مكتوباً للصغار - إلا أنني أعتقد أن الكثيرين من الكبار في حاجة إلى أن يقرأوه. فالكثيرون لم يتح لهم تعليمهم الذي سيطر عليه الاستعمار وهيمن عليه التبشير، أن يعرفوا شيئاً عن قصص القرآن الكريم، ومراميه العميقة، وجوه الإيمان التهذيبي المؤثر، كما هو معروض في هذا الكتيب.

ولقد قرأت الكثير من كتب الأطفال - بما في ذلك قصص الأنبياء عليهم الصلوات والسلام - وشاركت في تأليف مجموعة «القصص الديني للأطفال» في مصر مأخوذاً كذلك من القرآن الكريم. ولكنني أشهد في غير مجاملة - أن عمل السيد أبي الحسن في هذه القصة التي بين يدي، جاء أكمل من هذا كله. وذلك بما احتوى من توجيهات رقيقة وإيضاحات كاشفة لمرامي القصة وحوادثها ومواقفها، ومن تعليقات داخلية في ثنايا القصة،

ولكنها توحى بحقائق إيمانية ذات خطر، حين تستقر في
قلوب الصغار أو الكبار.

جزى الله السيد أبا الحسن خيراً، وزاده توفيقاً،
وهدى به الأجيال الناشئة التي تحيط بها العواصف
والأعاصير، وتنتشر في طريقها الأشواك، وتدلهم من
حولها الظلمات، وتحتاج إلى الهدى والنور والرعاية،
والإخلاص في حياتها ورعايتها. وعلى الله التوفيق.





المُقَدِّمَة

ابن^(١) أخي العَزِيزُ!

أراك حَرِيصاً عَلَى الْقِصَصِ وَالْحِكَايَاتِ . وَكَذَلِكَ كُلُّ
طِفْلٍ فِي سِنِّكَ . تَسْمَعُ هَذِهِ الْقِصَصَ بِكُلِّ رَغْبَةٍ ، وَتَقْرَأُهَا
بِكُلِّ رَغْبَةٍ ، وَلَكِنِّي أَتَأَسَّفُ لَأَنِّي لَا أَرَى فِي يَدِكَ إِلَّا
حِكَايَاتِ السَّنَانِيرِ وَالْكِلابِ وَالْأُسْدِ وَالذُّنَابِ وَالْقِرَدَةِ
وَالدُّبَابِ ، وَعَلَيْنَا الْعُهُدَةُ فِي ذَلِكَ ، فَذَلِكَ هُوَ الَّذِي
تَجِدُهُ مَطْبُوعاً .

وقد بدأت تتعلم اللغة العربية لأنها لغة القرآن
والرسول ولغة الدين ، ولك رغبة غريبة في درسها ،
ولكنني أخجل أنك لا تجد ما يوافق سِنِّكَ من القصص

(١) محمد بن الدكتور عبد العلي الحسني ابن أخ المؤلف ، وقد نبغ
بحمد الله في العربية ، ورئيس تحرير مجلة «البعث الإسلامي»
الصادرة في لکنؤ الهند .

العربية، إلا قصص الحيوانات، والأساطير والخرافات.
فَرَأَيْتُ أَنْ أَكْتُبَ لَكَ وَلِأَمْثَالِكَ أَبْنَاءَ الْمُسْلِمِينَ قِصَصَ
الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ (عَلَيْهِمْ صَلَاةُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ) بِأُسْلُوبٍ
سَهْلٍ يُوَافِقُ سِنَّكَ وَذَوْقَكَ، فَفَعَلْتُ، وَهَذَا هُوَ الْكِتَابُ
الْأَوَّلُ مِنْ «قِصَصِ النَّبِيِّينَ لِلْأَطْفَالِ» أُهْدِيهِ إِلَيْكَ.

وَقَدْ حَاكَيْتُ فِيهِ أُسْلُوبَ الْأَطْفَالِ وَطَبِيعَتَهُمْ، فَلَجَأْتُ إِلَى
تَكَرُّارِ الْكَلِمَاتِ وَالْجُمَلِ وَسُهُولَةِ الْأَلْفَاظِ وَبَسْطِ الْقِصَّةِ.

وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ هَذَا الْكِتَابُ الصَّغِيرُ أَوَّلَ كِتَابٍ
يَقْرَأُهُ الْأَطْفَالُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَيَذَرُسُونَهُ فِي مَدَارِسِهِمْ.

وَسَأَتُحِفُّكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِقِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ، مُمْتِعَةٍ
شَائِقَةٍ، وَاضِحَةٍ سَهْلَةٍ، خَفِيفَةٍ جَمِيلَةٍ، ثُمَّ لَا يَكُونُ فِيهَا
شَيْءٌ مِنَ الْكَذِبِ.

أَقَرَّ اللَّهُ بِكَ يَا مُحَمَّدُ عَيْنَ أَبَوَيْكَ وَعَمِّكَ وَعَيْنَ
الْإِسْلَامِ، وَأَعَادَ بِكَ بَرَكَاتِ آبَائِكَ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ وَعَلَى
الْمُسْلِمِينَ...

عَلَيَّ الْحَسَنِيُّ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَنْ كَسَرَ الْأَصْنَامَ؟

١ - بَائِعُ الْأَصْنَامِ

قَبْلَ أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ . كَثِيرَةٍ جِدًّا .
كَانَ فِي قَرْيَةٍ رَجُلٌ مَشْهُورٌ جِدًّا .
وَكَانَ اسْمُهُ هَذَا الرَّجُلِ آزَرُ .
وَكَانَ آزَرُ يَبِيعُ الْأَصْنَامَ .
وَكَانَ فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ بَيْتٌ كَبِيرٌ جِدًّا .
وَكَانَ فِي هَذَا الْبَيْتِ أَصْنَامٌ ، أَصْنَامٌ كَثِيرَةٌ جِدًّا .
وَكَانَ النَّاسُ يَسْجُدُونَ لِهَذِهِ الْأَصْنَامِ .
وَكَانَ آزَرُ يَسْجُدُ لِهَذِهِ الْأَصْنَامِ .
وَكَانَ آزَرُ يَعْبُدُ هَذِهِ الْأَصْنَامَ .

٢ - وَلَدُ آزَرَ

وَكَانَ آزَرُ لَهُ وَلَدٌ رَشِيدٌ، رَشِيدٌ جَدًّا .
وَكَانَ اسْمُ هَذَا الْوَلَدِ إِبْرَاهِيمَ .
وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَرَى النَّاسَ يَسْجُدُونَ لِلْأَصْنَامِ .
وَيَرَى النَّاسَ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ .
وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَعْرِفُ أَنَّ الْأَصْنَامَ حِجَارَةٌ .
وَكَانَ يَعْرِفُ أَنَّ الْأَصْنَامَ لَا تَتَكَلَّمُ وَلَا تَسْمَعُ .
وَكَانَ يَعْرِفُ أَنَّ الْأَصْنَامَ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ .
وَكَانَ يَرَى أَنَّ الذُّبَابَ يَجْلِسُ عَلَى الْأَصْنَامِ فَلَا
تَذْفَعُ .

وَكَانَ يَرَى الْفَأَرَ يَأْكُلُ طَعَامَ الْأَصْنَامِ فَلَا تَمْنَعُ .
وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَقُولُ فِي نَفْسِهِ : لِمَاذَا يَسْجُدُ النَّاسُ
لِلْأَصْنَامِ !!؟

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَسْأَلُ نَفْسَهُ : لِمَاذَا يَسْأَلُ النَّاسُ
الْأَصْنَامَ !!؟

٣ - نَصِيحَةُ إِبْرَاهِيمَ

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَقُولُ لِوَالِدِهِ:

يَا أَبِي، لِمَاذَا تَعْبُدُ هَذِهِ الْأَصْنَامَ!!؟

وَيَا أَبِي لِمَاذَا تَسْجُدُ لِهَذِهِ الْأَصْنَامَ!!؟

وَيَا أَبِي لِمَاذَا تَسْأَلُ هَذِهِ الْأَصْنَامَ!!؟

إِنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ لَا تَتَكَلَّمُ وَلَا تَسْمَعُ!

وَإِنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ!

وَلَا يَشَيْءٌ تَضَعُ لَهَا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ!!؟

وَإِنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ يَا أَبِي لَا تَأْكُلُ وَلَا تَشْرَبُ!

وَكَانَ آزَرَ يَغْضَبُ وَلَا يَفْهَمُ.

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَنْصَحُ لِقَوْمِهِ، وَكَانَ النَّاسُ يَغْضَبُونَ

وَلَا يَفْهَمُونَ.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا أَكْسِرُ الْأَصْنَامَ إِذَا ذَهَبَ النَّاسُ،

وَحِينَئِذٍ يَفْهَمُ النَّاسُ.

٤ - إِبْرَاهِيمُ يَكْسِرُ الْأَصْنَامَ

وَجَاءَ يَوْمٌ عِيدٌ فَفَرِحَ النَّاسُ .
وَخَرَجَ النَّاسُ لِلْعِيدِ وَخَرَجَ الْأَطْفَالُ .
وَخَرَجَ وَالِدُ إِبْرَاهِيمَ وَقَالَ لِإِبْرَاهِيمَ : أَلَا تَخْرُجُ مَعَنَا ؟
قَالَ إِبْرَاهِيمُ : أَنَا سَقِيمٌ !
وَذَهَبَ النَّاسُ وَبَقِيَ إِبْرَاهِيمُ فِي الْبَيْتِ .
وَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْأَصْنَامِ ، وَقَالَ لِلْأَصْنَامِ : أَلَا
تَتَكَلَّمُونَ ؟ أَلَا تَسْمَعُونَ ؟
هَذَا طَعَامٌ وَشَرَابٌ ، أَلَا تَأْكُلُونَ ؟ أَلَا تَشْرَبُونَ ؟
وَسَكَتِ الْأَصْنَامُ لَأَنَّهَا حِجَارَةٌ لَا تَنْطِقُ .
قَالَ إِبْرَاهِيمُ : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴾ (٩١) .
وَسَكَتِ الْأَصْنَامُ وَمَا نَطَقَتْ .
حِينَئِذٍ غَضِبَ إِبْرَاهِيمُ وَأَخَذَ الْفَأْسَ .
وَضَرَبَ إِبْرَاهِيمُ الْأَصْنَامَ بِالْفَأْسِ وَكَسَرَ الْأَصْنَامَ .
وَتَرَكَ إِبْرَاهِيمُ الصَّنَمَ الْأَكْبَرَ وَعَلَّقَ الْفَأْسَ فِي عُنُقِهِ .

وَرَجَعَ النَّاسُ وَدَخَلُوا فِي بَيْتِ الْأَصْنَامِ.
وَأَرَادَ النَّاسُ أَنْ يَسْجُدُوا لِلْأَصْنَامِ لَأَنَّهُ يَوْمٌ عِيدٌ.
وَلَكِنْ تَعَجَّبَ النَّاسُ وَدَهَشُوا.

وَتَأَسَّفَ النَّاسُ وَغَضِبُوا.

قَالُوا: ﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهِنَا؟﴾

﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ (٦٠)

﴿قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِإِلَهِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ (٦١)

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا

يَنْطِقُونَ﴾ (٦٢)

وَكَانَ النَّاسُ يَعْرِفُونَ أَنَّ الْأَصْنَامَ حِجَارَةٌ.

وَكَانُوا يَعْرِفُونَ أَنَّ الْحِجَارَةَ لَا تَسْمَعُ وَلَا تَنْطِقُ.

وَكَانُوا يَعْرِفُونَ أَنَّ الصَّنَمَ الْأَكْبَرَ أَيْضاً حَجَرٌ.

وَأَنَّ الصَّنَمَ الْأَكْبَرَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَمْشِيَ وَيَتَحَرَّكَ.

وَأَنَّ الصَّنَمَ الْأَكْبَرَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَكْسِرَ الْأَصْنَامَ.

فَقَالُوا لِإِبْرَاهِيمَ: أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْأَصْنَامَ لَا تَنْطِقُ.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ: فَكَيْفَ تَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَإِنَّهَا لَا تَضُرُّ
وَلَا تَنْفَعُ!!؟

وَكَيْفَ تَسْأَلُونَ الْأَصْنَامَ وَإِنَّهَا لَا تَنْطِقُ وَلَا تَسْمَعُ؟
أَلَا تَفْهَمُونَ شَيْئًا، أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟ .
وَسَكَتَ النَّاسُ وَخَجِلُوا! .

٦ - نَارٌ بَارِدَةٌ

اجْتَمَعَ النَّاسُ وَقَالُوا: مَاذَا نَفْعَلُ؟
إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَسَرَ الْأَصْنَامَ وَأَهَانَ الْآلِهَةَ!
وَسَأَلَ النَّاسُ: مَا عِقَابُ إِبْرَاهِيمَ؟ مَا جَزَاءُ إِبْرَاهِيمَ؟
كَانَ الْجَوَابُ: ﴿حَرِّقُوهُ وَأَنْصُرُوا إِلَهَتَكُمْ﴾ .
وَهَكَذَا كَانَ: أَوْقَدُوا نَارًا وَأَلْقُوا فِيهَا إِبْرَاهِيمَ .
وَلَكِنَّ اللَّهَ نَصَرَ إِبْرَاهِيمَ وَقَالَ لِلنَّارِ:
﴿يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ .
وَهَكَذَا كَانَ، كَانَتِ النَّارُ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ
وَرَأَى النَّاسُ أَنَّ النَّارَ لَا تَضُرُّ إِبْرَاهِيمَ .

وَرَأَى النَّاسُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ مَسْرُورٌ، وَأَنَّ إِبْرَاهِيمَ سَالِمٌ
وَدَهَشَ النَّاسُ وَتَحَيَّرُوا.

٧ - مَنْ رَبِّي؟

وَذَاتَ لَيْلَةٍ رَأَى إِبْرَاهِيمُ كَوْكَبًا، فَقَالَ: هَذَا رَبِّي.
وَلَمَّا غَابَ الْكَوْكَبُ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ: لَا! هَذَا لَيْسَ بِرَبِّي!
وَرَأَى إِبْرَاهِيمُ الْقَمَرَ فَقَالَ: هَذَا رَبِّي.
وَلَمَّا غَابَ الْقَمَرُ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ: لَا! هَذَا لَيْسَ بِرَبِّي!
وَطَلَعَتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: «هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ».
وَلَمَّا غَابَتِ الشَّمْسُ فِي اللَّيْلِ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: لَا!
هَذَا لَيْسَ بِرَبِّي.

إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ.

إِنَّ اللَّهَ بَاقٍ لَا يَغِيبُ.

إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ لَا يَغْلِبُهُ شَيْءٌ.

وَالْكَوْكَبُ ضَعِيفٌ يَغْلِبُهُ الصُّبْحُ.

وَالْقَمَرُ ضَعِيفٌ تَغْلِبُهُ الشَّمْسُ.

وَالشَّمْسُ ضَعِيفَةٌ يَغْلِبُهَا اللَّيْلُ وَيَغْلِبُهَا الْغَيْمُ.
وَلَا يَنْصُرُنِي الْكَوْكَبُ لِأَنَّهُ ضَعِيفٌ.
وَلَا يَنْصُرُنِي الْقَمَرُ لِأَنَّهُ ضَعِيفٌ.
وَلَا تَنْصُرُنِي الشَّمْسُ لِأَنَّهَا ضَعِيفَةٌ.
وَيَنْصُرُنِي اللَّهُ.
لَأَنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ.
وَبَاقٍ لَا يَغِيبُ.
وَقَوِيٌّ لَا يَغْلِبُهُ شَيْءٌ.

٨ - رَبِّي اللَّهُ

وَعَرَفَ إِبْرَاهِيمُ أَنَّ اللَّهَ رَبُّهُ.
لَأَنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ.
وَأَنَّ اللَّهَ بَاقٍ لَا يَغِيبُ.
وَأَنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ لَا يَغْلِبُهُ شَيْءٌ.
وَعَرَفَ إِبْرَاهِيمُ أَنَّ اللَّهَ رَبُّ الْكَوْكَبِ!
وَأَنَّ اللَّهَ رَبُّ الْقَمَرِ!

وَأَنَّ اللَّهَ رَبُّ الشَّمْسِ!
وَأَنَّ اللَّهَ رَبُّ الْعَالَمِينَ!
وَهَدَى اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ وَجَعَلَهُ نَبِيًّا وَخَلِيلًا .
وَأَمَرَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ، أَنْ يَدْعُو قَوْمَهُ وَيَمْنَعَهُمْ مِنْ عِبَادَةِ
الْأَصْنَامِ .

٩ - دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ

وَدَعَا إِبْرَاهِيمُ قَوْمَهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنَعَهُمْ مِنْ عِبَادَةِ
الْأَصْنَامِ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِقَوْمِهِ: مَا تَعْبُدُونَ؟
﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ .

قَالَ إِبْرَاهِيمُ:
﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾ .
﴿أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ ﴿٧٢﴾ .
﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٧٤﴾ .
قَالَ إِبْرَاهِيمُ: فَأَنَا لَا أَعْبُدُ هَذِهِ الْأَصْنَامَ .
بَلْ أَنَا عَدُوٌّ لِهَذِهِ الْأَصْنَامِ .

أَنَا أَعْبُدُ رَبَّ الْعَالَمِينَ .

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾﴾ .

﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾﴾ .

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ .

﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾ .

وَإِنَّ الْأَضْنَامَ لَا تَخْلُقُ وَلَا تَهْدِي .

وَإِنَّهَا لَا تُطْعِمُ أَحَدًا وَلَا تَسْقِي .

وَإِذَا مَرِضَ أَحَدٌ فَهِيَ لَا تَشْفِي .

وَإِنَّهَا لَا تُمِيتُ أَحَدًا وَلَا تُحْيِي .

١٠ - أَمَامَ الْمَلِكِ

كَانَ فِي الْمَدِينَةِ مَلِكٌ كَبِيرٌ جِدًّا ، وَظَالِمٌ جِدًّا .

وَكَانَ النَّاسُ يَسْجُدُونَ لِلْمَلِكِ .

وَسَمِعَ الْمَلِكُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ يَسْجُدُ لِلَّهِ وَلَا يَسْجُدُ لِأَحَدٍ

فَغَضِبَ الْمَلِكُ وَطَلَبَ إِبْرَاهِيمَ .

وَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ لَا يَخَافُ أَحَدًا ، إِلَّا اللَّهَ .

قَالَ الْمَلِكُ: مَنْ رَبُّكَ يَا إِبْرَاهِيمُ؟

قَالَ إِبْرَاهِيمُ: رَبِّي اللَّهُ!

قَالَ الْمَلِكُ: مَنْ اللَّهُ يَا إِبْرَاهِيمُ؟

قَالَ إِبْرَاهِيمُ: ﴿الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾.

قَالَ الْمَلِكُ: ﴿أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ﴾.

وَدَعَا الْمَلِكُ رَجُلًا وَقَتَلَهُ.

وَدَعَا رَجُلًا آخَرَ وَتَرَكَهُ.

وَقَالَ: أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ، قَتَلْتُ رَجُلًا وَتَرَكَتُ

رَجُلًا. وَكَانَ الْمَلِكُ بَلِيدًا جِدًّا، وَكَذَلِكَ كُلُّ

مُشْرِكٍ.

وَأَرَادَ إِبْرَاهِيمُ أَنْ يَفْهَمَ الْمَلِكُ، وَيَفْهَمَ قَوْمُهُ: فَقَالَ

إِبْرَاهِيمُ لِلْمَلِكِ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ

بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾.

فَتَحَيَّرَ الْمَلِكُ وَسَكَتَ.

وَحَجَلَ الْمَلِكُ، وَمَا وَجَدَ جَوَابًا.

١١ - دَعْوَةُ الْوَالِدِ

وَأَرَادَ إِبْرَاهِيمُ أَنْ يَدْعُوَ وَالِدَهُ أَيْضًا، فَقَالَ لَهُ:
﴿يَتَأْتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾.

وَلِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ؟!!!

﴿يَتَأْتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾!

يَا أَبَتِ اعْبُدِ الرَّحْمَنَ!

وَعَظِيبَ وَالِدِ إِبْرَاهِيمَ، وَقَالَ: أَنَا أَضْرِبُكَ، فَاتْرُكْنِي
وَلَا تَقُلْ شَيْئًا.

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ حَلِيمًا، فَقَالَ لِوَالِدِهِ: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكَ﴾.

وَقَالَ لَهُ: أَنَا أَذْهَبُ مِنْ هُنَا وَأَدْعُو رَبِّي.

وَتَأَسَّفَ إِبْرَاهِيمُ جَدًّا، وَأَرَادَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ،
وَيَعْبُدَ رَبَّهُ، وَيَدْعُوَ النَّاسَ إِلَى اللَّهِ.

١٢ - إِلَى مَكَّةَ

وَعَظِيبَ قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَعَظِيبَ الْمَلِكِ وَعَظِيبَ وَالِدِ
إِبْرَاهِيمَ.

وَأَرَادَ إِبْرَاهِيمُ أَنْ يُسَافِرَ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ وَيَعْبُدَ فِيهِ اللَّهَ
وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى اللَّهِ .

وَخَرَجَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ بَلَدِهِ وَوَدَّعَ وَالِدَهُ .
وَقَصَدَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ وَمَعَهُ زَوْجُهُ هَاجِرٌ .
وَكَانَتْ مَكَّةُ لَيْسَ فِيهَا عُشْبٌ وَلَا شَجَرٌ .
وَكَانَتْ مَكَّةُ لَيْسَ فِيهَا بَشَرٌ وَلَا نَهْرٌ .
وَكَانَتْ مَكَّةُ لَيْسَ فِيهَا حَيَوَانٌ وَلَا بَشَرٌ .
وَوَصَلَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى مَكَّةَ وَنَزَلَ فِيهَا .

وَتَرَكَ إِبْرَاهِيمُ زَوْجَهُ هَاجِرَ وَوَلَدَهُ إِسْمَاعِيلَ ، وَلَمَّا
أَرَادَ إِبْرَاهِيمُ أَنْ يَذْهَبَ قَالَتْ زَوْجُهُ هَاجِرُ إِلَى أَيْنَ يَا
سَيِّدِي؟ أَتَتْرُكُنِي هُنَا؟

أَتَتْرُكُنِي وَلَيْسَ هُنَا مَاءٌ وَلَا طَعَامٌ!

هَلْ أَمَرَكَ اللَّهُ بِهَذَا؟

قَالَ إِبْرَاهِيمُ : نَعَمْ!

قَالَتْ : هَاجِرُ : إِذَا لَا يُضِيعَنَا!

١٣ - بِئْرُ زَمْزَمَ

وَعَطِشَ إِسْمَاعِيلُ مَرَّةً، وَأَرَادَتْ أُمُّهُ أَنْ تَسْقِيَهُ مَاءً وَلَكِنْ أَتَيْنَ الْمَاءُ؟ وَمَكَّةُ لَيْسَ فِيهَا بَيْتٌ، وَمَكَّةُ لَيْسَ فِيهَا نَهْرٌ! وَكَانَتْ هَاجِرٌ تَطْلُبُ الْمَاءَ وَتَجْرِي مِنَ الصَّفا إِلَى الْمَرْوَةِ وَمِنَ الْمَرْوَةِ إِلَى الصَّفا.

وَنَصَرَ اللَّهُ هَاجِرَ، وَنَصَرَ إِسْمَاعِيلَ، فَخَلَقَ لَهُمَا مَاءً وَخَرَجَ الْمَاءُ مِنَ الْأَرْضِ وَشَرِبَ إِسْمَاعِيلُ وَشَرِبَتْ هَاجِرُ وَبَقِيَ الْمَاءُ فَكَانَ بَيْتُ زَمْزَمَ، فَبَارَكَ اللَّهُ فِي زَمْزَمَ وَهَذِهِ هِيَ الْبَيْتُ الَّتِي يَشْرَبُ مِنْهَا النَّاسُ فِي الْحَجِّ وَيَأْتُونَ بِمَاءِ زَمْزَمَ إِلَى بِلَدِهِمْ.

هَلْ شَرِبْتَ مَاءَ زَمْزَمَ؟

١٤ - رُؤْيَا إِبْرَاهِيمَ

وَعَادَ إِبْرَاهِيمَ إِلَى مَكَّةَ بَعْدَ مُدَّةٍ. وَلَقِيَ إِسْمَاعِيلَ وَلَقِيَ هَاجِرَ، وَفَرِحَ إِبْرَاهِيمُ بِوَلَدِهِ

إِسْمَاعِيلَ. وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ وَلَدًا صَغِيرًا، يَجْرِي وَيَلْعَبُ
وَيَخْرُجُ مَعَ وَالِدِهِ.

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يُحِبُّ إِسْمَاعِيلَ جِدًّا.

وَذَاتَ لَيْلَةٍ رَأَى إِبْرَاهِيمُ فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ يَذْبَحُ
إِسْمَاعِيلَ. وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ نَبِيًّا صَادِقًا، وَكَانَ مَنَامُهُ مَنَامًا
صَادِقًا. وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلَ اللَّهِ، فَأَرَادَ أَنْ يَفْعَلَ مَا
أَمَرَهُ اللَّهُ فِي الْمَنَامِ.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِإِسْمَاعِيلَ:

﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾.

﴿قَالَ يَتَابَتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ

الْقَادِرِينَ﴾.

وَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ إِسْمَاعِيلَ مَعَهُ وَأَخَذَ سِكِّينًا.

وَلَمَّا بَلَغَ إِبْرَاهِيمُ مِنْى، أَرَادَ أَنْ يَذْبَحَ إِسْمَاعِيلَ.
وَاضْطَجَعَ إِسْمَاعِيلُ عَلَى الْأَرْضِ. وَأَرَادَ إِبْرَاهِيمُ أَنْ
يَذْبَحَهُ فَوَضَعَ السِّكِّينَ عَلَى حُلُقُومِ إِسْمَاعِيلَ. وَلَكِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ أَنْ يَرَى هَلْ يَفْعَلُ خَلِيلُهُ مَا يَأْمُرُهُ وَهَلْ يُحِبُّ اللَّهُ

أَكْثَرَ أَوْ يُحِبُّ ابْنَهُ أَكْثَرَ . وَنَجَّحَ إِبْرَاهِيمُ فِي الْامْتِحَانِ .
فَأَرْسَلَ اللَّهُ جَبْرِيلَ بِكَبْشٍ مِنَ الْجَنَّةِ وَقَالَ اذْبَحْ هَذَا
وَلَا تَذْبَحْ إِسْمَاعِيلَ .
وَأَحَبَّ اللَّهُ عَمَلَ إِبْرَاهِيمَ ، فَأَمَرَ الْمُسْلِمِينَ بِالذَّبْحِ فِي
عِيدِ الْأَضْحَى .

صَلَّى اللَّهُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ وَسَلَّم .
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى ابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ وَسَلَّم .

١٥ - الْكَعْبَةُ

وَذَهَبَ إِبْرَاهِيمُ وَعَادَ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَأَرَادَ أَنْ يَبْنِيَ
بَيْتًا لِلَّهِ . وَكَانَتِ الْبُيُوتُ كَثِيرَةً وَمَا كَانَ بَيْتٌ لِلَّهِ يُعْبُدُونَ
فِيهِ اللَّهَ .

وَأَرَادَ إِسْمَاعِيلُ أَنْ يَبْنِيَ بَيْتًا لِلَّهِ مَعَ وَالِدِهِ .
وَنَقَلَ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ الْحِجَارَةَ مِنَ الْجِبَالِ .
وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَبْنِي الْكَعْبَةَ بِيَدِهِ وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ يَبْنِي
الْكَعْبَةَ بِيَدِهِ .

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَذْكُرُ اللَّهَ وَيَدْعُو .
 وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ يَذْكُرُ اللَّهَ وَيَدْعُو .
 ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ .
 وَتَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَبَارَكَ فِي الْكَعْبَةِ .
 نَحْنُ نَتَوَجَّهُ إِلَى الْكَعْبَةِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ .
 وَيُسَافِرُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْكَعْبَةِ فِي أَيَّامِ الْحَجِّ .
 وَيَطُوفُونَ بِالْكَعْبَةِ وَيُصَلُّونَ عِنْدَهَا .
 بَارَكَ اللَّهُ فِي الْكَعْبَةِ وَتَقَبَّلَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ .
 صَلَّى اللَّهُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَسَلَّم .
 صَلَّى اللَّهُ عَلَى إِسْمَاعِيلَ وَسَلَّم .
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلَّم .

١٦ - بَيْتُ الْمَقْدِسِ

وَكَانَ لِإِبْرَاهِيمَ زَوْجٌ أُخْرَى ، اسْمُهَا سَارَةُ . وَكَانَ
 لِإِبْرَاهِيمَ وَلَدٌ آخَرُ مِنْ سَارَةَ اسْمُهُ إِسْحَاقُ . وَسَكَنَ
 إِبْرَاهِيمُ فِي الشَّامِ ، وَسَكَنَ إِسْحَاقُ . وَبَنَى إِسْحَاقُ بَيْتًا لِلَّهِ

فِي الشَّامِ، كَمَا بَنَى أَبُوهُ وَأَخُوهُ بَيْتًا لِلَّهِ فِي مَكَّةَ .
وَهَذَا الْمَسْجِدُ الَّذِي بَنَاهُ إِسْحَاقُ فِي الشَّامِ هُوَ بَيْتُ
الْمَقْدِسِ .

وَهُوَ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكَ اللَّهُ حَوْلَهُ
وَبَارَكَ اللَّهُ فِي أَوْلَادِ إِسْحَاقَ كَمَا بَارَكَ فِي أَوْلَادِ
إِسْمَاعِيلَ، وَكَانَ فِيهِمْ أَنْبِيَاءٌ وَمُلُوكٌ .

وَكَانَ لِإِسْحَاقَ وَلَدٌ اسْمُهُ يَعْقُوبُ وَكَانَ نَبِيًّا .
وَكَانَ يَعْقُوبُ لَهُ اثْنَا عَشَرَ وَلَدًا، مِنْهُمْ يُوسُفُ بْنُ
يَعْقُوبَ .

وَيُوسُفُ لَهُ قِصَّةٌ عَجِيبَةٌ فِي الْقُرْآنِ .
وَإِلَيْكَ هَذِهِ الْقِصَّةُ ! .





أَحْسَنُ الْقَصَصِ

١ - رُؤْيَا عَجِيبَةٍ

كَانَ يُوسُفُ وَلَدًا صَغِيرًا، وَكَانَ لَهُ أَحَدَ عَشَرَ أَخًا.
وَكَانَ يُوسُفُ غُلَامًا جَمِيلًا، وَكَانَ يُوسُفُ غُلَامًا ذَكِيًّا،
وَكَانَ أَبُوهُ يَعْقُوبُ يُحِبُّهُ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ.

ذَاتَ لَيْلَةٍ رَأَى يُوسُفُ رُؤْيَا عَجِيبَةٍ.

رَأَى أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَرَأَى الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلُّ
يَسْجُدُ لَهُ.

تَعَجَّبَ يُوسُفُ الصَّغِيرُ كَثِيرًا! وَمَا فَهَمَ هَذِهِ الرُّؤْيَا كَيْفَ
تَسْجُدُ الْكَوَاكِبُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لِرَجُلٍ؟ ذَهَبَ يُوسُفُ
الصَّغِيرُ إِلَى أَبِيهِ يَعْقُوبَ وَحَكَى لَهُ هَذِهِ الرُّؤْيَا الْعَجِيبَةَ.

قَالَ: ﴿يَتَأْتِ بِإِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾.

وَكَانَ أَبُوهُ يَعْقُوبُ نَبِيًّا .
 فَرَحَّ يَعْقُوبُ بِهَذِهِ الرُّؤْيَا كَثِيرًا .
 وَقَالَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ يَا يُوسُفُ ، فَسَيَكُونُ لَكَ شَأْنٌ .
 هَذِهِ الرُّؤْيَا بِشَارَةٌ بِعِلْمٍ وَنُبُوءَةٍ .
 وَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى جَدِّكَ إِسْحَاقَ وَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى
 جَدِّكَ إِبْرَاهِيمَ .
 وَإِنَّهُ يُنْعِمُ عَلَيْكَ وَيُنْعِمُ عَلَى آلِ يَعْقُوبَ .
 وَكَانَ يَعْقُوبُ شَيْخًا كَبِيرًا ، وَكَانَ يَعْرِفُ طَبَائِعَ
 النَّاسِ . وَكَانَ يَعْرِفُ كَيْفَ يَغْلِبُ الشَّيْطَانُ ، وَكَيْفَ يَلْعَبُ
 الشَّيْطَانُ بِالْإِنْسَانِ .
 فَقَالَ يَا وَلَدِي ، لَا تُخْبِرْ بِهَذِهِ الرُّؤْيَا أَحَدًا مِنْ إِخْوَتِكَ
 فَإِنَّهُمْ يَحْسُدُونَكَ وَيَكُونُونَ لَكَ عَدُوًّا .

٢ - حَسَدُ الْإِخْوَةِ

وَكَانَ يُوسُفُ لَهُ أَخٌ آخَرُ مِنْ أُمِّهِ اسْمُهُ بَنِيَامِينَ . وَكَانَ
 يَعْقُوبُ يُحِبُّهُمَا حُبًّا شَدِيدًا ، وَكَانَ لَا يُحِبُّ مِثْلَهُمَا أَحَدًا .

وَكَانَ الْإِخْوَةُ يَحْسُدُونَ يُوسُفَ وَبَنِيَامِينَ وَيَغْضَبُونَ،
كَانُوا يَقُولُونَ: لِمَاذَا يُحِبُّ أَبُونَا يُوسُفَ وَبَنِيَامِينَ أَكْثَرَ؟
وَلِمَاذَا يُحِبُّ أَبُونَا يُوسُفَ وَبَنِيَامِينَ وَهُمَا صَغِيرَانِ
ضَعِيفَانِ؟ .

لِمَاذَا لَا يُحِبُّنَا مِثْلَ يُوسُفَ وَبَنِيَامِينَ نَحْنُ شُبَّانُ
أَقْوِيَاءَ، هَذَا أَمْرٌ عَجِيبٌ.

وَكَانَ يُوسُفُ وَلَدًا صَغِيرًا، فَحَكَى الرُّؤْيَا لِإِخْوَتِهِ
وَوَغِضِبَ الْإِخْوَةُ جِدًّا لَمَّا سَمِعُوا الرُّؤْيَا وَاشْتَدَّ حَسَدُهُمْ.
وَاجْتَمَعَ الْإِخْوَةُ يَوْمًا وَقَالُوا: اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ
اظْرَحُوهُ أَرْضًا بَعِيدَةً.

حِينَئِذٍ يَكُونُ أَبُوكُمْ لَكُمْ خَالِصًا، وَيَكُونُ حُبُّهُ لَكُمْ
خَالِصًا.

قَالَ أَحَدُهُمْ: لَا بَلْ أَلْقُوهُ فِي بئرٍ فِي طَرِيقٍ يَأْخُذُهُ
بَعْضُ الْمُسَافِرِينَ.

وَوَافَقَ عَلَيْهِ جَمِيعُ الْإِخْوَةِ.

وَلَمَّا اتَّفَقُوا عَلَى هَذَا الرَّأْيِ جَاؤُوا إِلَى يَعْقُوبَ .
وَكَانَ يَعْقُوبُ يَخَافُ عَلَى يُوسُفَ كَثِيرًا ، وَكَانَ يَعْرِفُ أَنَّ
الْإِخْوَةَ يَحْسُدُونَهُ وَلَا يُحِبُّونَهُ .

وَكَانَ يَعْقُوبُ لَا يُرْسِلُ يُوسُفَ مَعَ الْإِخْوَةِ . وَكَانَ
يُوسُفُ يَلْعَبُ مَعَ أَخِيهِ وَلَا يَذْهَبُ بَعِيدًا .
وَكَانَ الْإِخْوَةُ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّهُمْ عَزَمُوا عَلَى
الشَّرِّ .

قَالُوا يَا أَبَانَا لِمَذَا لَا تُرْسِلُ مَعَنَا يُوسُفَ؟ مَاذَا تَخَافُ؟ .
هُوَ أَخُونَا الْعَزِيزُ ، وَأَخُونَا الصَّغِيرُ ، وَنَحْنُ أَبْنَاءُ أَبِي .
وَالْإِخْوَةُ دَائِمًا يَلْعَبُونَ جَمِيعًا ، فَلِمَذَا لَا نَذْهَبُ نَحْنُ
وَنَلْعَبُ جَمِيعًا؟

﴿أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَب وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾﴾ .
وَكَانَ يَعْقُوبُ شَيْخًا كَبِيرًا ، وَكَانَ يَعْقُوبُ عَاقِلًا حَلِيمًا .
وَكَانَ يَعْقُوبُ لَا يُحِبُّ أَنْ يَبْعُدَ مِنْهُ يُوسُفُ . وَكَانَ يَخَافُ
عَلَى يُوسُفَ كَثِيرًا .

فَقَالَ لِأَبْنَائِهِ:

﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾.

قَالُوا: أَبَدًا! كَيْفَ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ حَاضِرُونَ؟ وَكَيْفَ يَأْكُلَهُ، وَنَحْنُ شُبَّانٌ أَقْوِيَاءُ؟

وَأَذِنَ يَعْقُوبُ لِيُوسُفَ.

٤ - إِلَى الْغَابَةِ

وَفَرِحَ الْإِخْوَةُ كَثِيرًا لَمَّا أَذِنَ يَعْقُوبُ لِيُوسُفَ.

وَذَهَبُوا إِلَى غَابَةِ وَأَلْقَوْا يُوسُفَ فِي بُئْرٍ فِي الْغَابَةِ وَلَمْ يَرْحَمُوا يُوسُفَ الصَّغِيرَ، وَلَمْ يَرْحَمُوا يَعْقُوبَ الشَّيْخَ الْكَبِيرَ.

وَكَانَ يُوسُفُ وَلَدًا صَغِيرًا، وَكَانَ قَلْبُهُ صَغِيرًا. وَكَانَتِ الْبُئْرُ عَمِيقَةً، وَكَانَتِ الْبُئْرُ مُظْلِمَةً. وَكَانَ يُوسُفُ وَحِيدًا.

وَلَكِنَّ اللَّهَ بَشَّرَ يُوسُفَ وَقَالَ لَهُ: لَا تَحْزَنْ وَلَا تَخَفْ إِنَّ اللَّهَ مَعَكَ، وَسَيَكُونُ لَكَ شَأْنٌ.

سَيَحْضُرُ إِلَيْكَ الْإِخْوَةُ وَتُخْبِرُهُمْ بِمَا فَعَلُوهُ. وَلَمَّا
فَرَّغُوا مِنْ شَأْنِهِمْ وَأَلْقَوْا يُوسُفَ فِي الْبُئْرِ اجْتَمَعُوا وَقَالُوا:
مَاذَا نَقُولُ لِأَيِّنَا؟

قَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ أَبُونَا يَقُولُ أَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ
فَنَقُولُ لَهُ صَدَقْتَ يَا أَبَانَا قَدْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ، وَافَقَ الْإِخْوَةُ
عَلَى ذَلِكَ، وَقَالُوا نَعَمْ نَقُولُ لَهُ يَا أَبَانَا قَدْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ.
قَالَ بَعْضُ الْإِخْوَانِ: وَلَكِنْ مَا آيَةُ ذَلِكَ؟ قَالُوا: آيَةُ
ذَلِكَ الدَّمِّ.

وَأَخَذَ الْإِخْوَةُ كَبْشًا وَذَبَحُوهُ.
وَأَخَذُوا قَمِيصَ يُوسُفَ وَصَبَّغُوهُ.
وَفَرِحَ الْإِخْوَةُ جِدًّا: وَقَالُوا الْآنَ يُصَدِّقُ أَبُونَا.

٥ - أَمَامَ يَعْقُوبَ

﴿وَجَاءَ وَآبَاهُمَا عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ ﴿١٦﴾
﴿قَالُوا يَتَابَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ
مَتْنَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾.

﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ وَقَالُوا هَذَا دَمُ
يُوسُفَ!

وَكَانَ أَبُوهُمْ يَعْقُوبُ نَبِيًّا، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا. وَكَانَ
أَعْقَلَ مِنْ أَوْلَادِهِ.

وَكَانَ يَعْقُوبُ يَعْرِفُ أَنَّ الذُّبَّ إِذَا أَكَلَ إِنْسَانًا جَرَحَهُ
وَشَقَّ قَمِيصَهُ.

وَكَانَ قَمِيصُ يُوسُفَ سَالِمًا. وَكَانَ مَضْبُوغًا فِي الدَّمِ
فَعَرَفَ يَعْقُوبُ أَنَّهُ دَمٌ كَذِبٌ، وَأَنَّ قِصَّةَ الذُّبِّ قِصَّةٌ
مَوْضُوعَةٌ.

فَقَالَ لِأَوْلَادِهِ: بَلْ هَذِهِ قِصَّةٌ وَضَعْتُمُوهَا ﴿فَصَبِرٌ
جَمِيلٌ﴾ وَحَزِنَ يَعْقُوبُ عَلَى يُوسُفَ حُزْنًا شَدِيدًا وَلَكِنَّهُ
صَبَرَ صَبْرًا جَمِيلًا.

٦ - يُوسُفُ فِي الْبَيْتِ

وَرَجَعَ الْإِخْوَةُ إِلَى الْبَيْتِ، وَتَرَكُوا يُوسُفَ فِي الْبَيْتِ
وَأَكَلَ الْإِخْوَةُ الطَّعَامَ، وَنَامُوا عَلَى الْفِرَاشِ. وَيُوسُفُ فِي

الْبِئْرِ، وَلَا فِرَاشَ وَلَا طَعَامَ. وَنَسِيَ الْإِخْوَانُ يُوسُفَ،
وَنَامُوا.

وَمَا نَامَ يُوسُفُ، وَمَا نَسِيَ أَحَدًا.
وَبَقِيَ يَعْقُوبُ يَذْكُرُ يُوسُفَ، وَبَقِيَ يُوسُفُ يَذْكُرُ
يَعْقُوبَ.

وَكَانَ يُوسُفُ فِي الْبِئْرِ وَكَانَتْ الْبِئْرُ عَمِيقَةً. وَكَانَتْ
الْبِئْرُ فِي الْغَابَةِ، وَكَانَتْ الْغَابَةُ مُوحِشَةً وَكَانَ ذَلِكَ فِي
الَّيْلِ، وَكَانَ اللَّيْلُ مُظْلِمًا.

٧ - مِنَ الْبِئْرِ إِلَى الْقَصْرِ

وَكَانَتْ جَمَاعَةٌ تُسَافِرُ فِي هَذِهِ الْغَابَةِ. وَعَطِشُوا فِي
الطَّرِيقِ، وَبَحَثُوا عَنْ بِئْرٍ.
وَرَأَوْا بِئْرًا، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهَا رَجُلًا لِيَأْتِيَ لَهُمْ
بِالْمَاءِ.

جَاءَ الرَّجُلُ إِلَى الْبِئْرِ، وَأَذْلَى دَلْوَهُ.
وَنَزَعَ الدَّلْوَ، فَإِذَا الدَّلْوُ ثَقِيلَةٌ!

وَأَخْرَجَهَا فَإِذَا فِي الدَّلْوِ غُلامٌ!

دهشَ الرَّجُلُ وَنَادَى .

﴿يَبْشُرِي هَذَا غُلامٌ﴾ .

وَفَرِحَ النَّاسُ جِدًّا وَأَخْفَوْهُ .

وَوَصَلُوا إِلَى مِصْرَ، وَقَامُوا فِي السُّوقِ وَنَادَوْا : مَنْ

يَشْتَرِي هَذَا الْغُلامَ؟ مَنْ يَشْتَرِي هَذَا الْغُلامَ؟

اشْتَرَى الْعَزِيزُ يُوسُفَ بِدَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ . وَبَاعَهُ التُّجَّارُ

وَمَا عَرَفُوا يُوسُفَ .

وَذَهَبَ بِهِ الْعَزِيزُ إِلَى قَصْرِهِ، وَقَالَ لَامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي

يُوسُفَ، إِنَّهُ وَلَدٌ رَشِيدٌ .

٨ - الْوَفَاءُ وَالْأَمَانَةُ

وَرَأَوَدَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ يُوسُفَ عَلَى الْخِيَانَةِ . وَلَكِنَّ

يُوسُفَ أَبِي، وَقَالَ : كَلَّا!

أَنَا لَا أَخُونُ سَيِّدِي، إِنَّهُ أَحْسَنَ إِلَيَّ وَأَكْرَمَنِي .

إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ .

وَعَصِيبَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ وَشَكَتْ إِلَى زَوْجِهَا . وَعَرَفَ
الْعَزِيزُ أَنَّ الْمَرْأَةَ كَاذِبَةٌ .

وَعَرَفَ أَنَّ يُوسُفَ أَمِينٌ .

فَقَالَ لِزَوْجِهِ : ﴿ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ .

وَعَرَفَ يُوسُفُ فِي مِصْرَ بِجَمَالِهِ ، وَإِذَا رَأَهُ أَحَدٌ قَالَ :
﴿ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ . وَاشْتَدَّ غَضَبُ
الْمَرْأَةِ وَقَالَتْ لِيُوسُفَ :

إِذْنُ تَذْهَبَ إِلَى السِّجْنِ !

قَالَ يُوسُفُ : ﴿ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ! ﴾ .

وَبَعْدَ أَيَّامٍ رَأَى الْعَزِيزُ أَنَّ يُرْسَلَ يُوسُفَ إِلَى السِّجْنِ .

وَكَانَ الْعَزِيزُ يَعْرِفُ أَنَّ يُوسُفَ بَرِيءٌ .

وَدَخَلَ يُوسُفُ السِّجْنَ .

٩ - مَوْعِظَةُ السِّجْنِ

وَدَخَلَ يُوسُفُ السِّجْنَ ، وَعَرَفَ أَهْلُ السِّجْنِ جَمِيعاً
أَنَّ يُوسُفَ شَابٌّ كَرِيمٌ .

وَأَنَّ يُوسُفَ عِنْدَهُ عِلْمٌ عَظِيمٌ .
وَأَنَّ يُوسُفَ فِي صَدْرِهِ قَلْبٌ رَحِيمٌ .
وَأَحَبُّ أَهْلِ السَّجْنِ يُوسُفَ وَأَكْرَمُوهُ .
وَفَرِحَ النَّاسُ بِيُوسُفَ وَعَظَّمُوهُ .
وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ رَجُلَانِ وَقَصَا عَلَيْهِ رُؤْيَاهُمَا ﴿قَالَ
أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرْنِي أَغْصِرُ خَمْراً﴾ .
﴿وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرْنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ
مِنْهُ﴾ .

وَسَأَلَ يُوسُفَ عَنِ التَّأْوِيلِ .
وَكَانَ يُوسُفُ عَالِمًا بِتَأْوِيلِ الرُّؤْيَا .
وَكَانَ يُوسُفُ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ .
وَكَانَ النَّاسُ فِي زَمَانِهِ يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللَّهِ .
وَوَضَعُوا أَرْبَابًا كَثِيرَةً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ .
وَقَالُوا هَذَا رَبُّ الْبَرِّ، وَهَذَا رَبُّ الْبَحْرِ، وَهَذَا رَبُّ
الرِّزْقِ، وَهَذَا رَبُّ الْمَطَرِ .
وَكَانَ يُوسُفُ يَرَى كُلَّ ذَلِكَ وَيَضْحَكُ .

وَكَانَ يُوسُفُ يَعْلَمُ كُلَّ ذَلِكَ وَيَبْكِي .
وَكَانَ يُوسُفُ يُرِيدُ أَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ .
وَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي السَّجْنِ .
أَلَا يَسْتَحِقُّ أَهْلُ السَّجْنِ الْمَوْعِظَةَ؟
أَلَا يَسْتَحِقُّ أَهْلُ السَّجْنِ الرَّحْمَةَ؟
أَلَيْسَ أَهْلُ السَّجْنِ عِبَادَ اللَّهِ؟
أَلَيْسَ أَهْلُ السَّجْنِ بَنِي آدَمَ؟
كَانَ يُوسُفُ فِي السَّجْنِ وَلَكِنَّهُ كَانَ حُرًّا جَرِيئًا .
كَانَ يُوسُفُ فَقِيرًا وَلَكِنَّهُ كَانَ جَوَادًا سَخِيًّا .
إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ يَجْهَرُونَ بِالْحَقِّ فِي كُلِّ مَكَانٍ .
إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ يَجُودُونَ بِالْخَيْرِ فِي كُلِّ زَمَانٍ .

١٠ - حِكْمَةُ يُوسُفَ

قَالَ يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ :
إِنَّ الْحَاجَةَ سَاقَتِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيَّ .
وَإِنَّ صَاحِبَ الْحَاجَةِ يَلِينُ وَيَخْضَعُ .

وَأِنَّ صَاحِبَ الْحَاجَةِ يُطِيعُ وَيَسْمَعُ .
 فَلَوْ قُلْتُ لَهُمَا شَيْئًا لَسَمِعَا وَسَمِعَ أَهْلُ السَّجْنِ وَلَكِنَّ
 يُوسُفَ لَمْ يَسْتَعْجِلْ .
 بَلْ قَالَ لَهُمَا :
 أَنَا أَخْبِرُكُمَا بِتَأْوِيلِ الرُّؤْيَا قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا طَعَامُكُمَا .
 فَجَلَسَا وَاطْمَأَنَّا .
 ثُمَّ قَالَ لَهُمَا يُوسُفُ :
 أَنَا عَالِمٌ بِتَأْوِيلِ الرُّؤْيَا ، ﴿ذَلِكَمَّا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾
 فَفَرَحَا وَاطْمَأَنَّا .
 وَهُنَا وَجَدَ يُوسُفُ الْفُرْصَةَ فَبَدَأَ مَوْعِظَتَهُ .

١١ - مَوْعِظَةُ التَّوْحِيدِ

قَالَ يُوسُفُ : ﴿ذَلِكَمَّا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ .
 وَلَكِنَّ اللَّهَ لَا يُؤْتِي عِلْمَهُ كُلَّ أَحَدٍ .
 إِنَّ اللَّهَ لَا يُؤْتِي عِلْمَهُ الْمُشْرِكِ .
 هَلْ تَعْرِفَانِ لِمَاذَا عَلَّمَنِي رَبِّي ؟

لَأَنِّي تَرَكْتُ طَرِيقَ أَهْلِ الشِّرْكِ .

﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ .

﴿مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ .

قَالَ يُوسُفُ :

وَهَذَا التَّوْحِيدُ لَيْسَ لَنَا فَقَطْ .

بَلْ هُوَ لِلنَّاسِ جَمِيعًا .

﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ .

وَهُنَا وَقَفَ يُوسُفُ وَسَأَلَهُمَا .

تَقُولُونَ رَبُّ الْبَرِّ وَرَبُّ الْبَحْرِ وَرَبُّ الرِّزْقِ وَرَبُّ

الْمَطَرِ .

وَنَحْنُ نَقُولُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ .

﴿أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ .

أَيَنْ رَبُّ الْبَرِّ وَرَبُّ الْبَحْرِ وَرَبُّ الرِّزْقِ وَرَبُّ الْمَطَرِ؟

﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ .

انْظُرُوا إِلَى الْأَرْضِ وَإِلَى السَّمَاءِ وَانْظُرُوا إِلَى الْإِنْسَانِ .

﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ .
 وَكَيْفَ رَبُّ الْبَرِّ، وَرَبُّ الْبَحْرِ، وَرَبُّ الرِّزْقِ، وَرَبُّ
 الْمَطَرِ؟! !!

أَسْمَاءُ، ﴿سَعَيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَاَبَاؤُكُمْ﴾ .
 الْحُكْمُ لِلَّهِ، الْمُلْكُ لِلَّهِ، الْأَرْضُ لِلَّهِ، الْأَمْرُ لِلَّهِ .
 ﴿أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ .
 ﴿ذَلِكَ الَّذِينَ أَلْقَيْنَا﴾ .
 ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

١٢ - تَأْوِيلُ الرُّؤْيَا

وَلَمَّا فَرَغَ يُوسُفُ مِنْ مَوْعِظَتِهِ أَخْبَرَهُمَا بِتَأْوِيلِ الرُّؤْيَا
 قَالَ: ﴿أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقَى رَبَّهُ خَمْرًا﴾ .
 ﴿وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلَّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ .
 وَقَالَ لِلأَوَّلِ: ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ .
 وَخَرَجَ الرَّجُلَانِ، فَكَانَ الْأَوَّلُ سَاقِيًا لِلْمَلِكِ وَصَلَبَ
 الْآخَرُ.

وَنَسِيَ السَّاقِي أَنْ يَذْكُرَ يُوسُفَ عِنْدَ الْمَلِكِ .
وَأَقَامَ يُوسُفُ فِي السَّجْنِ سِنِينَ .

١٣ - رُؤْيَا الْمَلِكِ

وَرَأَى مَلِكُ مِصْرَ رُؤْيَا عَجِيبَةً .
رَأَى فِي الْمَنَامِ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ .
وَيَأْكُلُ هَذِهِ الْبَقَرَاتِ سَبْعُ بَقَرَاتٍ عَجَافٍ .
وَرَأَى الْمَلِكُ سَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضِرٍ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ
يَابِسَاتٍ .
تَعَجَّبَ الْمَلِكُ مِنْ هَذِهِ الرُّؤْيَا الْعَجِيبَةِ وَسَأَلَ جُلَسَاءَهُ
عَنْ تَأْوِيلِ الرُّؤْيَا .
قَالُوا : هَذَا لَيْسَ بِشَيْءٍ ، النَّائِمُ يَرَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةً لَا
حَقِيقَةَ لَهَا .
وَلَكِنْ قَالَ السَّاقِي : لَا ، بَلْ أَخْبِرْكُمْ بِتَأْوِيلِ هَذِهِ الرُّؤْيَا .
وَذَهَبَ السَّاقِي إِلَى السَّجْنِ وَسَأَلَ يُوسُفَ عَنْ تَأْوِيلِ
رُؤْيَا الْمَلِكِ .

كَانَ يُوسُفُ جَوَاداً كَرِيماً مُشْفِقاً عَلَى خَلْقِ اللَّهِ
فَأَخْبَرَهُ بِالتَّأْوِيلِ .

وَكَانَ يُوسُفُ جَوَاداً كَرِيماً لَا يَعْرِفُ الْبُخْلَ .
فَأَخْبَرَ يُوسُفُ بِالتَّأْوِيلِ وَدَلَّ عَلَى التَّدْبِيرِ .
قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ ، وَاتْرَكُوا مَا حَصَدْتُمْ فِي
سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ .
وَيَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ قَحْطٌ عَامٌ تَأْكُلُونَ فِيهِ مَا خَزَنْتُمْ إِلَّا
قَلِيلاً .

وَيُطْوَلُ هَذَا الْقَحْطُ إِلَى سَبْعِ سِنِينَ .
وَبَعْدَ ذَلِكَ يَأْتِي النَّصْرُ وَيُخَصِبُ النَّاسُ .
وَذَهَبَ السَّاقِي وَأَخْبَرَ الْمَلِكُ بِتَأْوِيلِ رُؤْيَاهُ .

١٤ - الْمَلِكُ يُرْسِلُ إِلَى يُوسُفَ

وَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ هَذَا التَّأْوِيلَ وَالتَّدْبِيرَ فَرِحَ جِدًّا ،
وَقَالَ : مَنْ صَاحِبُ هَذَا التَّأْوِيلِ ؟
وَقَالَ الْمَلِكُ : مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الْكَرِيمُ الَّذِي نَصَحَ لَنَا
وَدَلَّ عَلَى التَّدْبِيرِ ؟

قَالَ السَّاقِي: هَذَا يُوسُفُ الصَّدِيقُ وَهُوَ الَّذِي أَخْبَرَ
أَنِّي سَأَكُونُ سَاقِيًا لِسَيِّدِي الْمَلِكِ.

وَاشْتَبَقَ الْمَلِكُ إِلَى لِقَاءِ يُوسُفَ، وَأَرْسَلَ إِلَى
يُوسُفَ، وَقَالَ الْمَلِكُ: ﴿أَتُؤْنِي بِهِ؟ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي﴾.

١٥ - يُوسُفُ يَسْأَلُ التَّفْتِيشَ

وَلَمَّا جَاءَ الرَّسُولُ إِلَى يُوسُفَ وَقَالَ لَهُ إِنَّ الْمَلِكَ
يَدْعُوكَ!

مَا رَضِيَ يُوسُفُ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ السَّجْنِ هَكَذَا. وَيَقُولُ
النَّاسُ هَذَا يُوسُفُ! هَذَا كَانَ أَمْسٍ فِي السَّجْنِ، إِنَّهُ خَانَ
الْعَزِيزَ.

إِنَّ يُوسُفَ كَانَ كَبِيرَ النَّفْسِ أَبِيًّا، إِنَّ يُوسُفَ كَانَ كَبِيرَ
الْعَقْلِ ذَكِيًّا.

لَوْ كَانَ أَحَدٌ مَكَانَ يُوسُفَ فِي السَّجْنِ وَجَاءَهُ رَسُولُ
الْمَلِكِ. وَقَالَ لَهُ رَسُولُ الْمَلِكِ إِنَّ الْمَلِكَ يَدْعُوكَ
وَيَنْتَظِرُكَ لِأَسْرَعِ هَذَا الرَّجُلُ إِلَى بَابِ السَّجْنِ وَخَرَجَ.

وَلَكِنَّ يُوْسُفَ لَمْ يُسْرِعْ .
وَلَكِنَّ يُوْسُفَ لَمْ يَسْتَعْجِلْ .
بَلْ قَالَ لِرَّسُولِ الْمَلِكِ : أَنَا أُرِيدُ التَّفْتِيشَ أَنَا أُرِيدُ
الْبَحْثَ عَنْ قَضِيَّتِي .
وَسَأَلَ الْمَلِكُ عَنْ يُوْسُفَ وَعَلِمَ الْمَلِكُ وَعَلِمَ النَّاسُ
أَنَّ يُوْسُفَ بَرِيءٌ .
وَخَرَجَ يُوْسُفَ بَرِيئاً وَأَكْرَمَهُ الْمَلِكُ .

١٦ - عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ

وَكَانَ يُوْسُفُ يَعْلَمُ أَنَّ الْأَمَانَةَ قَلِيلَةٌ فِي النَّاسِ .
وَكَانَ يُوْسُفُ يَعْلَمُ أَنَّ الْخِيَانَةَ كَثِيرَةٌ فِي النَّاسِ .
وَكَانَ يُوْسُفُ يَرَى أَنَّ النَّاسَ يَخُونُونَ فِي أَمْوَالِ اللَّهِ .
وَكَانَ يَرَى أَنَّ فِي الْأَرْضِ خَزَائِنَ كَثِيرَةً وَلَكِنَّهَا
ضَائِعَةٌ .

إِنَّهَا ضَائِعَةٌ لِأَنَّ الْأُمَرَاءَ^(١) لَا يَخَافُونَ اللَّهَ فِيهَا .

(١) الولاية وأصحاب الأمر .

فَتَأْكُلُ كِلَابُهُمْ وَلَا يَجِدُ النَّاسُ مَا يَأْكُلُونَ . وَتَلْبَسُ
بُيُوتُهُمْ وَلَا يَجِدُ النَّاسُ مَا يَلْبَسُونَ .

وَلَا يَنْفَعُ النَّاسَ بِخَزَائِنِ الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ كَانَ حَفِيزًا
عَلِيمًا .

وَمَنْ كَانَ حَفِيزًا وَمَا كَانَ عَلِيمًا لَا يَعْلَمُ أَيْنَ خَزَائِنُ
الْأَرْضِ وَكَيْفَ يَنْتَفِعُ بِهَا .

وَمَنْ كَانَ عَلِيمًا وَمَا كَانَ حَفِيزًا يَأْكُلُ مِنْهَا وَيَخُونُ
فِيهَا .

وَكَانَ يُوسُفُ حَفِيزًا عَلِيمًا .

وَكَانَ يُوسُفُ لَا يُرِيدُ أَنْ يَشْرَكَ الْأَمْرَاءَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ
النَّاسِ .

وَكَانَ يُوسُفُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَرَى النَّاسَ يَجُوعُونَ
وَيَمُوتُونَ .

وَكَانَ يُوسُفُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ .

فَقَالَ لِلْمَلِكِ :

﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ﴾ .

وَهَكَذَا كَانَ يُوسُفُ أَمِينًا لِحَزَائِنِ مِصْرَ .
وَاسْتَرَاخَ النَّاسُ جِدًّا وَحَمِدُوا اللَّهَ .

١٧ - جَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ

وَكَانَ فِي مِصْرَ وَالشَّامَ مَجَاعَةٌ كَمَا أَخْبَرَ يُوسُفُ .
وَسَمِعَ أَهْلُ الشَّامِ وَسَمِعَ يَعْقُوبُ أَنَّ فِي مِصْرَ رَجُلًا
رَحِيمًا . وَأَنَّ فِي مِصْرَ جَوَادًا كَرِيمًا ، وَهُوَ عَلَى خَزَائِنِ
الْأَرْضِ .

وَكَانَ النَّاسُ يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ وَيَأْخُذُونَ الطَّعَامَ ^(١) وَأَرْسَلَ
يَعْقُوبُ أَبْنَاءَهُ إِلَى مِصْرَ بِالْمَالِ لِيَأْتُوا بِالطَّعَامِ .
وَبَقِيَ بَنِيَامِينَ عِنْدَ وَالِدِهِ لِأَنَّ يَعْقُوبَ كَانَ يُحِبُّهُ جِدًّا .
وَمَا كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَبْعُدَ عَنْهُ وَكَانَ يَعْقُوبُ يَخَافُ عَلَيْهِ كَمَا
كَانَ يَخَافُ عَلَى يُوسُفَ .

وَتَوَجَّهَ إِخْوَةُ يُوسُفَ إِلَى يُوسُفَ وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ أَنَّهُ
أَخُوهُمْ يُوسُفَ .

(١) الحبوب .

وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ أَنَّهُ يُوسُفُ الَّذِي كَانَ فِي الْبُئْرِ .
وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ .

وَكَيْفَ لَا يَمُوتُ وَقَدْ كَانَ فِي الْبُئْرِ .

كَانَ فِي الْبُئْرِ وَكَانَتِ الْبُئْرُ عَمِيقَةً .

وَكَانَتِ الْبُئْرُ فِي الْغَابَةِ ، وَكَانَتِ الْغَابَةُ مُوحِشَةً .

وَكَانَ ذَلِكَ فِي اللَّيْلِ ، وَكَانَ اللَّيْلُ مُظْلِمًا .

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ

مُنْكَرُونَ﴾ .

كَانُوا مُنْكَرِينَ لِيُوسُفَ لَا يَعْرِفُونَهُ ، وَلَكِنْ مَا أَنْكَرَهُمْ

يُوسُفُ بَلْ عَرَفَهُمْ .

عَرَفَ يُوسُفُ أَنَّ هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ أَلْقَوْهُ فِي

الْبُئْرِ .

وَأَنَّ هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ كَانُوا يُرِيدُونَ قَتْلَهُ وَلَكِنَّ اللَّهَ

حَفِظَهُ .

وَلَكِنَّ يُوسُفَ لَمْ يَقُلْ لَهُمْ شَيْئًا وَلَمْ يَفْضَحْهُمْ .

١٨ - بَيْنَ يَوْسُفَ وَإِخْوَتِهِ

وَكَلَّمَهُمْ يَوْسُفُ وَقَالَ لَهُمْ:

مِنْ أَيْنَ أَنْتُمْ؟

قَالُوا: مِنْ كَنْعَانَ!

قَالَ: مَنْ أَبُوكُمْ؟

قَالُوا: يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ (عَلَيْهِمُ
الصَّلَوَاتُ وَالسَّلَامُ).

قَالَ: هَلْ لَكُمْ أَخٌ آخَرُ؟

قَالُوا: نَعَمْ لَنَا أَخٌ اسْمُهُ بَنِيَامِينُ!

قَالَ: لِمَذَا لَمْ يَأْتِ مَعَكُمْ؟

قَالُوا: لِأَنَّ وَالِدَنَا لَا يَتْرُكُهُ وَلَا يُحِبُّ أَنْ يَبْعَدَ عَنْهُ.

قَالَ: لِأَيِّ شَيْءٍ لَا يَتْرُكُهُ، هَلْ هُوَ وَلَدٌ صَغِيرٌ جَدًّا؟

قَالُوا: لَا: وَلَكِنْ كَانَ لَهُ أَخٌ اسْمُهُ يَوْسُفُ، ذَهَبَ مَعَنَا
مَرَّةً، وَذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يَوْسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذَّبُّ.

وَضَحِكَ يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَكِنْ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا وَاشْتَاقَ
يَوْسُفُ إِلَى أَخِيهِ بَنِيَامِينِ.

وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَمْتَحِنَ يَعْقُوبَ مَرَّةً ثَانِيَةً .
فَأَمَرَ لَهُمْ يُوسُفُ بِالطَّعَامِ .
وَقَالَ لَهُمْ : ﴿ أَتَتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ ﴾ .
وَلَا تَجِدُونَ طَعَامًا إِذَا لَمْ تَأْتُوا بِهِ .
وَأَمَرَ يُوسُفُ بِمَالِهِمْ فَوَضَعَ فِي مَتَاعِهِمْ .

١٩ - بَيْنَ يَعْقُوبَ وَأَبْنَائِهِ

وَرَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ وَأَخْبَرُوهُ بِالْخَبْرِ وَقَالُوا لَهُ : أَرْسِلْ
مَعَنَا أَخَانًا ، وَإِلَّا لَا نَجِدُ خَيْرًا عِنْدَ الْعَزِيزِ .
وَطَلَبُوا مِنْ يَعْقُوبَ بَنِيَامِينَ وَقَالُوا : ﴿ وَإِنَّا لَهُ
لَحَافِظُونَ ﴾ .

قَالَ يَعْقُوبُ : ﴿ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَى
أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ .

هَلْ نَسِيتُمْ قِصَّةَ يُونُسَ . أَتَحْفَظُونَ بَنِيَامِينَ كَمَا
حَفِظْتُمْ يُونُسَ .

﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ .

وَوَجَدُوا مَا لَهُمْ فِي مَتَاعِهِمْ فَقَالُوا لِأَبِيهِمْ: إِنَّ الْعَزِيزَ
رَجُلٌ كَرِيمٌ، قَدْ رَدَّ مَالَنَا وَلَمْ يَأْخُذْ مِنَّا ثَمَنًا.

أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيَامِينَ نَأْخُذْ حَقَّهُ أَيْضًا.

قَالَ لَهُمْ يَعْقُوبُ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُعَاهِدُوا اللَّهَ
أَنْكُمْ تَرْجِعُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ تُغْلَبُوا عَلَى أَمْرِكُمْ.

وَعَاهِدُوا اللَّهَ وَقَالَ يَعْقُوبُ: ﴿اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾.

وَقَالَ يَعْقُوبُ لِبَنِيهِ: ﴿يَبَنِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ
وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾.

٢٠ - بَنِيَامِينَ عِنْدَ يُوسُفَ

وَدَخَلَ الْإِخْوَةُ مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ كَمَا أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ
وَوَصَلُوا إِلَى يُوسُفَ.

وَلَمَّا رَأَى يُوسُفُ بَنِيَامِينَ فَرِحَ جِدًّا وَأَنْزَلَهُ فِي بَيْتِهِ.
وَقَالَ يُوسُفُ لِبَنِيَامِينَ: ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾ وَاطْمَأَنَّ
بَنِيَامِينَ. وَلَقِيَ يُوسُفُ بَنِيَامِينَ بَعْدَ زَمَنٍ طَوِيلٍ فَذَكَرَ أُمَّهُ
وَأَبَاهُ وَذَكَرَ بَيْتَهُ وَذَكَرَ صِغَرَهُ.

وَأَرَادَ يُوسُفُ أَنْ يَبْقَىٰ عِنْدَهُ بِنِيَامِينَ يَرَاهُ كُلَّ يَوْمٍ
وَيُكَلِّمُهُ وَيَسْأَلُهُ عَنْ بَيْتِهِ .

وَلَكِنْ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَىٰ ذَلِكَ ، وَبِنِيَامِينَ رَاجِعٌ غَدًا
إِلَىٰ كَنْعَانَ؟

وَكَيْفَ السَّبِيلُ إِلَىٰ ذَلِكَ وَالْإِخْوَةُ عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَىٰ أَنْ
يَرْجِعُوا بِهِ مَعَهُمْ؟ .

وَكَيْفَ يُمَكِّنُ لِيُوسُفَ أَنْ يَحْبِسَ بِنِيَامِينَ عِنْدَهُ بِغَيْرِ
سَبَبٍ؟

وَيَقُولُ النَّاسُ: قَدْ حَبَسَ الْعَزِيزُ عِنْدَهُ كَنْعَانِيًّا بِغَيْرِ
سَبَبٍ، إِنَّ هَذَا لَظُلْمٌ عَظِيمٌ .

وَلَكِنَّ يُوسُفَ كَانَ ذَكِيًّا عَاقِلًا .

كَانَ عِنْدَ يُوسُفَ إِنَاءٌ ثَمِينٌ ، وَكَانَ يَشْرَبُ فِيهِ . وَضَعَ
هَذَا الْإِنَاءَ فِي مَتَاعِ بِنِيَامِينَ وَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ .

وَالْتَفَتَ الْإِخْوَةُ ، وَقَالُوا مَاذَا تَفْقِدُونَ؟

قَالُوا: نَفْقِدُ صُوعًا (إِنَاءً) الْمَلِكِ ، وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ

بَعِيرٍ .

﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا
كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾ !.

﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾﴾ ؟
﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي
الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ .

وَخَرَجَ الْإِنَاءُ مِنْ مَتَاعِ بَنِيَامِينَ فَخَجِلَ الْإِخْوَةُ وَلَكِنْ
قَالُوا مِنْ غَيْرِ خَجَلٍ :
إِنْ يَسْرِقُ (بَنِيَامِينَ) فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ (يُوسُفُ) مِنْ
قَبْلُ .

وَسَمِعَ يُوسُفُ هَذَا الْبُهْتَانَ فَسَكَتَ وَلَمْ يَغْضَبْ وَكَانَ
يُوسُفُ كَرِيمًا حَلِيمًا .

﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا
مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾ .

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا
إِذَا لظَالِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾ .

وَهَكَذَا بَقِيَ بَنِيَامِينَ عِنْدَ يُوسُفَ وَفَرِحَ الْأَخْوَانُ جَمِيعًا .

إِنَّ يُوسُفَ كَانَ وَحِيداً مِنْذُ زَمَنِ طَوِيلٍ لَا يَرَى أَحَدًا
مِنْ أَهْلِهِ.

وَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ إِلَيْهِ بَنِيَامِينَ أَفَلَا يَحْبِسُهُ عِنْدَهُ يَرَاهُ
وَيُكَلِّمُهُ. وَهَلْ مِنَ الظُّلُمِ أَنْ يُقِيمَ أَخٌ عِنْدَ أَخِيهِ. أَبَدًا؟
أَبَدًا؟.

٢١ - إِلَى يَعْقُوبَ

وَتَحَيَّرَ الْإِخْوَةُ كَيْفَ يَرْجِعُونَ إِلَى أَبِيهِمْ؟!
وَفَكَّرَ الْإِخْوَةُ مَاذَا يَقُولُونَ لِأَبِيهِمْ؟!
إِنَّهُمْ فَجَعُوهُ أَمْسٍ فِي يُوسُفَ، أَفَيَفْجَعُونَهُ الْيَوْمَ فِي
بَنِيَامِينَ!

أَمَّا كَبِيرُهُمْ فَأَبَى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى يَعْقُوبَ وَقَالَ لِإِخْوَتِهِ:
﴿أَرْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَتَابَانَا إِنْكَ ابْنُكَ سَرَقَ وَمَا
شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾﴾.
وَلَمَّا سَمِعَ يَعْقُوبُ الْقِصَّةَ عَلِمَ أَنَّ لِلَّهِ يَدًا فِي ذَلِكَ.
وَأَنَّ اللَّهَ مُمْتَحِنُهُ.

أَمْسِ فُجِعَ فِي يُوسُفَ وَالْيَوْمَ يُفْجَعُ فِي بَنِيَامِينَ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ عَلَيْهِ مُصِيبَتَيْنِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُفْجَعُهُ
فِي ابْنَيْنِ.

إِنَّ اللَّهَ لَا يُفْجَعُهُ فِي ابْنَيْنِ كَيُوسُفَ وَبَنِيَامِينَ.

إِنَّ لِلَّهِ فِي ذَلِكَ يَدًا خَفِيَّةً.

إِنَّ لِلَّهِ فِي ذَلِكَ حِكْمَةً مَخْفِيَّةً.

إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَزَلْ يَمْتَحِنُ عِبَادَهُ ثُمَّ يَسُرُّهُمْ وَيُنْعِمُ
عَلَيْهِمْ.

ثُمَّ إِنَّ الْإِبْنَ الْكَبِيرَ بَقِيَ فِي مِصْرَ أَيْضاً وَأَبَى أَنْ يَرْجِعَ
إِلَى كَنْعَانَ.

أَفِيُفْجَعُ فِي الثَّالِثِ أَيْضاً وَقَدْ فُجِعَ مِنْ قَبْلُ فِي اثْنَيْنِ.
إِنَّ هَذَا لَا يَكُونُ.

وَهُنَا اظْمَأَنَّ يَعْقُوبُ وَقَالَ:

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُمْ هُوَ الْعَلِيمُ
الْحَكِيمُ﴾.

وَلَكِنَّ يَعْقُوبَ كَانَ بَشَرًا فِي صَدْرِهِ قَلْبٌ بَشَرٍ لَا قِطْعَةَ حَجَرٍ .

فَذَكَرَ يُوسُفَ وَتَجَدَّدَ حُزْنُهُ وَقَالَ : ﴿ يَتَأَسَّفَى عَلَى يُوسُفَ ﴾ .
وَلَا مَهْ أُنْبَأُوهُ وَقَالُوا إِنَّكَ لَا تَزَالُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَهْلِكَ .

قَالَ يَعْقُوبُ : ﴿ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

وَكَانَ يَعْقُوبُ يَعْلَمُ أَنَّ الْيَأْسَ كُفْرٌ، وَكَانَ يَعْقُوبُ لَهُ رَجَاءٌ كَبِيرٌ فِي اللَّهِ .

وَأَرْسَلَ يَعْقُوبُ أَبْنَاءَهُ إِلَى مِصْرَ لِيَبْحَثُوا عَنْ يُوسُفَ وَبَنِيَامِينَ وَيَجْتَهِدُوا فِي ذَلِكَ .

وَمَنَعَهُمْ يَعْقُوبُ مِنْ أَنْ يَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَذَهَبَ الْإِخْوَةُ إِلَى مِصْرَ مَرَّةً ثَالِثَةً .

وَدَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ وَشَكَّوْا إِلَيْهِ فَقَرَهُمْ وَمُصِيبَتَهُمْ وَسَأَلُوهُ الْفَضْلَ .

وَهُنَا هَاجَ الْحُزْنَ وَالْحُبُّ فِي يُوسُفَ وَلَمْ يَمْلِكْ نَفْسَهُ .
أَبْنَاءُ أَبِي وَأَبْنَاءُ الْأَنْبِيَاءِ يَشْكُونَ فَقَرَهُمْ وَمُصِيبَتُهُمْ إِلَى
مَلِكٍ مِنَ الْمُلُوكِ .

إِلَى مَتَى أَخْفِي الْأَمْرَ عَنْهُمْ وَإِلَى مَتَى أَرَى حَالَهُمْ
وَإِلَى مَتَى لَا أَرَى أَبِي؟
لَمْ يَمْلِكْ يُوسُفَ نَفْسَهُ وَقَالَ لَهُمْ .

﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ ،
وَكَانَ الْإِخْوَةُ يَعْلَمُونَ أَنَّ هَذَا السِّرَّ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا يُوسُفَ
وَنَحْنُ .

فَعَلِمُوا أَنَّهُ يُوسُفَ .

سُبْحَانَ اللَّهِ! هَلْ يُوسُفَ حَيٌّ ، أَمَا مَاتَ فِي الْبُئْرِ . يَا
سَلَامُ! هَلْ يُوسُفَ هُوَ عَزِيزٌ مِصْرَ؟
هُوَ الَّذِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ؟
هُوَ الَّذِي كَانَ يَأْمُرُ لَنَا بِالطَّعَامِ؟
وَمَا بَقِيَ عِنْدَهُمْ شَكٌّ أَنَّ الَّذِي يُكَلِّمُهُمْ هُوَ يُوسُفَ بْنُ
يَعْقُوبَ!

﴿قَالُوا أَيْنَ نَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾.

قال: ﴿أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَاشَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ ﴿٩١﴾ وَمَا لَمْهُمْ يُوسُفُ عَلَى فَعْلَتِهِمْ، بَلْ قَالَ: ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

٢٣ - يُوسُفُ يُرْسَلُ إِلَى يَعْقُوبَ

وَاشْتَاقَ يُوسُفُ إِلَى لِقَاءِ يَعْقُوبَ، وَكَيْفَ لَا يَشْتَاقُ إِلَيْهِ وَقَدْ طَالَ الْفِرَاقُ.

وَلَمَّاذَا يَصْبِرُ الْآنَ وَقَدْ ظَهَرَ السِّرُّ.

وَكَيفَ يَطِيبُ لَهُ الشَّرَابُ وَالطَّعَامُ وَأَبُوهُ لَا يَطِيبُ لَهُ شَرَابٌ وَلَا طَعَامٌ وَلَا مَنَامٌ.

قَدْ انْكَشَفَ السِّرُّ، وَقَدْ ظَهَرَ السِّرُّ، وَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ تَقَرَّ عَيْنُ يَعْقُوبَ.

وَكَانَ يَعْقُوبُ قَدْ عَمِيَ مِنْ كَثَرَةِ الْبُكَاءِ وَالْحُزْنِ فَقَالَ
يُوسُفُ:

﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا
وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩٣).

٢٤ - يَعْقُوبُ عِنْدَ يُوسُفَ

وَلَمَّا سَارَ الرَّجَالُ بِقَمِيصِ يُوسُفَ إِلَى كَنْعَانَ، أَحَسَّ
يَعْقُوبُ رَائِحَةَ يُوسُفَ، وَقَالَ: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ
يُوسُفَ﴾.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ (٩٥).

وَلَكِنْ كَانَ يَعْقُوبُ صَادِقًا، ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ
عَلَى وَجْهِهِ، فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ
اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٩٦).

﴿قَالُوا يَتَابَانَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ (٩٧).

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ﴾ (٩٨).

وَلَمَّا وَصَلَ يَعْقُوبُ إِلَى مِصْرَ اسْتَقْبَلَهُ يُوسُفُ، وَلَا
تَسْأَلُ عَنْ فَرَحِهِمَا وَسُرُورِهِمَا.

وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا فِي مِصْرَ وَكَانَ يَوْمًا مُبَارَكًا. وَرَفَعَ
يُوسُفُ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَوَقَعُوا كُلُّهُمْ سُجَّدًا لِيُوسُفَ.
وَقَالَ يُوسُفُ: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي
حَقًّا﴾.

﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي
سَاجِدِينَ﴾.

وَحَمِدَ يُوسُفُ اللَّهَ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا.
وَشَكَرَ يُوسُفُ عَلَى ذَلِكَ شُكْرًا عَظِيمًا.
وَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَآلُ يَعْقُوبَ فِي مِصْرَ زَمَنًا طَوِيلًا وَمَاتَ
يَعْقُوبُ وَزَوْجُهُ فِي مِصْرَ.

٢٥ - حُسْنُ الْعَاقِبَةِ

وَلَمْ يَشْغَلْ يُوسُفَ هَذَا الْمُلْكُ الْعَظِيمُ عَنِ اللَّهِ وَلَمْ
يُغَيِّرْهُ.

وَكَانَ يُوسُفُ يَذْكُرُ اللَّهَ وَيَعْبُدُهُ وَيَخَافُهُ .
وَكَانَ يُوسُفُ يَحْكُمُ بِحُكْمِ اللَّهِ وَيُنْفِذُ أَوَامِرَ اللَّهِ .
وَكَانَ يُوسُفُ لَا يَرَى الْمُلْكَ كَثِيراً وَلَا يَعُدُّهُ شَيْئاً
كَبِيراً وَكَانَ يُوسُفُ لَا يُحِبُّ أَنْ يَمُوتَ مَوْتَ مَلِكٍ
وَيُحْشَرَ مَعَ الْمُلُوكِ .
بَلْ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَمُوتَ مَوْتَ عَبْدٍ وَيُحْشَرَ مَعَ
الصَّالِحِينَ .

وَكَانَ دُعَاءُ يُوسُفَ :

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ
الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (١١) .
وَتَوَفَّاهُ اللَّهُ مُسْلِماً وَأَلْحَقَهُ بِآبَائِهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى نَبِينَا وَسَلَّم .



سَفِينَةُ نُوحٍ

١ - بَعْدَ آدَمَ

بَارَكَ اللَّهُ فِي ذُرِّيَّةِ آدَمَ فَكَانَ فِيهَا رِجَالٌ كَثِيرٌ وَنِسَاءٌ.
وَانْتَشَرَتْ ذُرِّيَّةُ آدَمَ وَكَثُرَتْ.

فَلَوْ رَجَعَ آدَمُ وَرَأَى أَوْلَادَهُ لَمَا عَرَفَ.

وَلَوْ قِيلَ لَهُ هَذِهِ ذُرِّيَّتُكَ يَا آدَمُ لَتَعَجَّبَ كَثِيرًا. وَقَالَ:
سُبْحَانَ اللَّهِ! هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ أَوْلَادِي؟ هَذِهِ كُلُّهَا ذُرِّيَّتِي؟!

وَكَانَتْ لِذُرِّيَّةِ آدَمَ قُرَى كَثِيرَةٌ، وَبَنَوْا بُيُوتًا كَثِيرَةً.
وَكَانُوا يَحْرُثُونَ الْأَرْضَ وَيَزْرَعُونَ وَيَعِيشُونَ. وَكَانَ
النَّاسُ عَلَى دِينِ آبَائِهِمْ آدَمَ، يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَلَا يُشْرِكُونَ بِهِ
شَيْئًا!.

وَكَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً أَبُوهُمْ آدَمُ وَرَبُّهُمْ اللَّهُ.

٢ - حَسَدُ الشَّيْطَانِ

وَلَكِنْ كَيْفَ يَرْضَى إِبْلِيسُ وَذُرِّيَّتُهُ بِهَذَا؟ أَلَا يَزَالُ النَّاسُ يَعْبُدُونَ اللَّهَ؟

أَلَا يَزَالُ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَا يَخْتَلِفُونَ؟ إِنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ! إِنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ!

هَلْ يَدْخُلُ ذُرِّيَّةُ آدَمَ الْجَنَّةَ، وَيَدْخُلُ إِبْلِيسُ وَذُرِّيَّتُهُ النَّارَ؟
إِنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ، إِنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ!
إِنَّهُ لَمْ يَسْجُدْ لآدَمَ فَطَرَدَهُ اللَّهُ وَلَعَنَهُ.

أَلَا يَنْتَقِمُ مِنْ بَنِي آدَمَ فَيَدْخُلُوا مَعَهُ النَّارَ؟
لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ! لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ.

٣ - فِكْرَةُ الشَّيْطَانِ

وَرَأَى الشَّيْطَانُ أَنْ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ
فَيَدْخُلُوا النَّارَ وَلَا يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَبَدًا.

وَكَانَ الشَّيْطَانُ يَعْرِفُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ الشُّرْكَ، وَيَغْفِرُ
كُلَّ شَيْءٍ إِذَا أَرَادَ.

فَأَرَادَ الشَّيْطَانُ أَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الشِّرْكِ . فَلَا يَدْخُلُوا
الْجَنَّةَ أَبَدًا .

وَلَكِنْ كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى ذَلِكَ ، وَالنَّاسُ يَعْبُدُونَ اللَّهَ؟
إِنَّهُ لَوْ ذَهَبَ إِلَى النَّاسِ وَقَالَ لَهُمْ : «اعْبُدُوا الْأَصْنَامَ وَلَا
تَعْبُدُوا اللَّهَ» لَشَتَمَهُ النَّاسُ وَضَرَبُوهُ .

قَالُوا : مَعَاذَ اللَّهِ ، أَنْشُرِكَ بِرَبِّنَا؟ أَنْعَبُدُ الْأَصْنَامَ؟ إِنَّكَ
لَشَيْطَانٌ رَجِيمٌ ! إِنَّكَ لَشَيْطَانٌ خَبِيثٌ !

٤ - حِيلَةُ الشَّيْطَانِ

وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ وَجَدَ بَابًا يَدْخُلُ مِنْهُ إِلَى رُؤُوسِ
النَّاسِ .

كَانَ رِجَالٌ يَخَافُونَ اللَّهَ ، وَيَعْبُدُونَهُ لَيْلًا وَنَهَارًا ،
وَيَذْكُرُونَهُ ذِكْرًا كَثِيرًا .

وَكَانُوا يُحِبُّونَ اللَّهَ ، وَكَانَ اللَّهُ يُحِبُّهُمْ وَيَسْتَجِيبُ لَهُمْ
وَكَانَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُمْ وَيُعْظَمُونَهُمْ ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ يَعْرِفُ
ذَلِكَ جَيِّدًا .

وَقَدْ مَاتَ هَؤُلَاءِ وَانْتَقَلُوا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ!
 ذَهَبَ الشَّيْطَانُ إِلَى النَّاسِ وَذَكَرَ هَؤُلَاءِ الرِّجَالَ.
 وَقَالَ: كَيْفَ كَانَ فِيكُمْ فُلَانٌ وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ؟ قَالُوا:
 سُبْحَانَ اللَّهِ! رَجَالَ اللَّهِ وَأَوْلِيَاؤُهُ! أُولَئِكَ إِذَا دَعَوْا
 أَجَابَهُمْ، وَإِذَا سَأَلُوا أَعْطَاهُمْ.

٥ - صُورُ الصَّالِحِينَ

قَالَ الشَّيْطَانُ: فَكَيْفَ حُزْنُكُمْ عَلَيْهِمْ؟
 قَالُوا: شَدِيدٌ.
 قَالَ: وَكَيْفَ اشْتِيَاقُكُمْ إِلَيْهِمْ؟
 قَالُوا: عَظِيمٌ!
 قَالَ: وَلِمَذَا لَا تَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ كُلَّ يَوْمٍ؟
 قَالُوا: وَكَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى ذَلِكَ وَقَدْ مَاتُوا؟
 قَالَ: اِعْمَلُوا لَهُمْ صُورًا وَانْظُرُوا إِلَيْهَا كُلَّ صَبَاحٍ.
 وَأَعْجَبَ النَّاسُ بِرَأْيِ إِبْلِيسَ وَصَوَّرُوا الصَّالِحِينَ
 وَكَانُوا يَنْظُرُونَ إِلَى هَذِهِ الصُّورِ كُلَّ يَوْمٍ، وَإِذَا رَأَوْهَا
 ذَكَرُوا أُولَئِكَ الصَّالِحِينَ.

٦ - مِنَ الصُّورِ إِلَى التَّمَاثِيلِ

وَانْتَقَلُوا مِنَ الصُّورِ إِلَى التَّمَاثِيلِ .
وَعَمِلُوا لِلصَّالِحِينَ تَمَاثِيلَ كَثِيرَةً، وَوَضَعُوهَا فِي
بُيُوتِهِمْ وَفِي مَسَاجِدِهِمْ .
وَكَانُوا يَعْبُدُونَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُونَ بِهِ شَيْئًا .
وَكَانُوا يَعْرِفُونَ أَنَّ هَذِهِ تَمَاثِيلُ لِلصَّالِحِينَ .
وَأَنَّ هَذِهِ حِجَارَةٌ لَا تَنْفَعُهُمْ وَلَا تَضُرُّهُمْ وَلَا تَرْزُقُهُمْ
وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا يَتَبَرَّكُونَ بِهَا وَيُعَظِّمُونَهَا، لِأَنَّهَا تَمَاثِيلُ
لِلصَّالِحِينَ .
وَكَثُرَتْ هَذِهِ التَّمَاثِيلُ فِيهِمْ، وَكَثُرَ تَعَظِيمُهَا .
وَإِذَا مَاتَ فِيهِمْ رَجُلٌ صَالِحٌ عَمِلُوا لَهُ تِمَثَالًا وَسَمَّوْهُ
بِاسْمِهِ .

٧ - مِنَ التَّمَاثِيلِ إِلَى الْأَصْنَامِ

وَمَضَى هَؤُلَاءِ، وَرَأَى الْأَوْلَادُ آبَاءَهُمْ يَتَبَرَّكُونَ بِهَا
وَرَأَوْا آبَاءَهُمْ يُعَظِّمُونَهَا تَعَظِيمًا شَدِيدًا .

وَكَانُوا يَرَوْنَهُمْ يُقْبَلُونَ هَذِهِ التَّمَاثِيلَ، وَيَلْمَسُونَهَا
وَيَدْعُونَ عِنْدَهَا.

وَكَانُوا يَرَوْنَهُمْ يَخْفِضُونَ رُؤُوسَهُمْ وَيَرْكَعُونَ عِنْدَهَا
فَزَادَ الْإِبْنَاءُ عَلَى الْآبَاءِ، وَصَارُوا يَسْجُدُونَ لَهَا.
وَصَارُوا يَسْأَلُونَهَا، وَيَذْبَحُونَ لَهَا.

وَهَكَذَا صَارَتْ هَذِهِ الْأَصْنَامُ إِلَهَةً، وَصَارَ النَّاسُ
يَعْبُدُونَهَا كَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ اللَّهَ مِنْ قَبْلُ. وَكَثُرَتْ هَذِهِ
الْإِلَهَةُ فِيهِمْ، هَذَا وَدٌّ، وَذَلِكَ سُوعٌ، وَهَذَا يَغُوثٌ،
وَذَلِكَ يَعُوقٌ، وَهَذَا نَسْرٌ.

٨ - غَضِبَ اللَّهُ

وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ غَضَبًا شَدِيدًا وَلَعَنَهُمْ.
وَلَمَّاذَا لَا يَغْضَبُ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ وَلَا يَلْعَنُهُمْ؟ أَلِهَذَا
خَلَقَهُمْ، أَلِهَذَا يَرْزُقُهُمْ؟

يَمْشُونَ عَلَى أَرْضِ اللَّهِ وَيَكْفُرُونَ بِاللَّهِ!
وَيَأْكُلُونَ رِزْقَ اللَّهِ وَيُشْرِكُونَ بِاللَّهِ!
إِنَّ هَذَا لَظُلْمٌ عَظِيمٌ! إِنَّ هَذَا لَظُلْمٌ عَظِيمٌ!

غَضِبَ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ، وَحَبَسَ الْمَطَرَ وَضَيَّقَ عَلَيْهِمْ. وَقَلَّ الْحَرْثُ وَقَلَّ النَّسْلُ.

وَلَكِنَّ النَّاسَ مَا عَقَلُوا، وَلَكِنَّ النَّاسَ مَا تَابُوا.

٩ - الرَّسُولُ

وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْهُمْ يُكَلِّمُهُمْ وَيَنْصَحُ لَهُمْ.

إِنَّ اللَّهَ لَا يُكَلِّمُ وَاحِدًا وَاحِدًا، إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَاطَبُ كُلَّ أَحَدٍ يَقُولُ لَهُ أَفْعَلْ كَذَا، أَفْعَلْ كَذَا. إِنَّ الْمُلُوكَ لَا يُكَلِّمُونَ وَاحِدًا وَاحِدًا.

إِنَّ الْمُلُوكَ لَا يَذْهَبُونَ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ يَقُولُونَ لَهُ أَفْعَلْ كَذَا، أَفْعَلْ كَذَا.

وَالْمُلُوكُ بَشَرٌ كَالْبَشَرِ، يَقْدِرُ كُلُّ أَحَدٍ أَنْ يَرَاهُمْ وَيَسْمَعَ كَلَامُهُمْ، وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَرَى اللَّهَ وَيَسْمَعَ كَلَامَهُ وَيُكَلِّمَهُ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا مَنْ أَرَادَ اللَّهُ، إِذَا أَرَادَ اللَّهُ.

فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُرْسِلَ إِلَى النَّاسِ رَسُولًا يُكَلِّمُهُمْ
وَيَنْصَحُ لَهُمْ.

١٠ - بَشَرٌ أَمْ مَلَكٌ

وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الرَّسُولُ بَشَرًا، وَأَنْ يَكُونَ
وَاحِدًا مِنَ النَّاسِ، يَعْرِفُهُ النَّاسُ وَيَفْهَمُونَ كَلَامَهُ وَإِذَا
كَانَ الرَّسُولُ مَلَكًا قَالَ النَّاسُ: مَا لَنَا وَلَهُ؟ هُوَ مَلَكٌ
وَنَحْنُ بَشَرٌ!

نَحْنُ نَأْكُلُ وَنَشْرَبُ وَلَنَا أَهْلٌ وَذُرِّيَّةٌ فَكَيْفَ نَعْبُدُ اللَّهَ؟
وَإِذَا كَانَ الرَّسُولُ بَشَرًا قَالَ أَنَا أَكُلُ وَأَشْرَبُ وَلِي أَهْلٌ
وَذُرِّيَّةٌ وَأَنَا أَعْبُدُ اللَّهَ فَلِمَ لَا تَعْبُدُونَ اللَّهَ؟
وَإِذَا كَانَ الرَّسُولُ مَلَكًا قَالَ النَّاسُ: إِنَّكَ لَا تَعْطَشُ
وَلَا تَجُوعُ، وَإِنَّكَ لَا تَمْرَضُ وَلَا تَمُوتُ فَتَعْبُدُ اللَّهَ
وَتَذْكُرُهُ دَائِمًا!

وَنَحْنُ بَشَرٌ نَعْطَشُ وَنَجُوعُ، وَنَمْرَضُ وَنَمُوتُ، فَكَيْفَ
نَعْبُدُ اللَّهَ وَنَذْكُرُهُ دَائِمًا؟

وَإِذَا كَانَ الرَّسُولُ بَشَرًا قَالَ أَنَا مِثْلُكُمْ أَغْطِشُ وَأَجُوعُ
وَأَمْرَضُ وَأَمُوتُ وَأَعْبُدُ اللَّهَ وَأَذْكُرُهُ، فَلِمَ إِذَا لَا
تَعْبُدُونَ اللَّهَ وَلَا تَذْكُرُونَهُ؟
فَيَنْقَطِعُ كَلَامُ النَّاسِ وَلَا يَجِدُونَ عُذْرًا.

١١ - نُوحُ الرَّسُولُ

وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُرْسِلَ نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ .
كَانَ فِي الْقَوْمِ أَغْنِيَاءُ وَرُؤَسَاءُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ نُوحًا
لِرِسَالَتِهِ، وَلَمْ يَخْتَرْ أَحَدًا مِنْهُمْ .
اللَّهُ يَعْلَمُ مَنْ يَحْمِلُ رِسَالَتَهُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَنْ يَحْمِلُ
أَمَانَتَهُ .

وَكَانَ نُوحٌ رَجُلًا صَالِحًا كَرِيمًا، وَكَانَ نُوحٌ رَجُلًا
عَاقِلًا حَلِيمًا .

وَكَانَ نُوحٌ نَاصِحًا شَفِيقًا، وَكَانَ نُوحٌ صَادِقًا أَمِينًا
اخْتَارَ اللَّهُ نُوحًا لِرِسَالَتِهِ وَأَوْحَى إِلَيْهِ: ﴿أَنْ أَنْذِرَ قَوْمَكَ مِنْ
قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .

فَقَامَ نُوحٌ فِي قَوْمِهِ يَقُولُ لِلنَّاسِ: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ .

١٢ - ماذا أجابه القوم؟

وَلَمَّا قَامَ نُوحٌ فِي قَوْمِهِ يَقُولُ: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ .
قَامَ بَعْضُ النَّاسِ يَقُولُونَ: مَتَى صَارَ هَذَا نَبِيًّا؟
بِالْأَمْسِ كَانَ رَجُلًا مِنَّا وَالْيَوْمَ يَقُولُ أَنَا رَسُولُ اللَّهِ
إِلَيْكُمْ!

وَقَالَ أَصْدِقَاءُ نُوحٍ: هَذَا كَانَ يَلْعَبُ مَعَنَا فِي الصَّغَرِ
وَيَجْلِسُ مَعَنَا كُلَّ يَوْمٍ فَمَتَى جَاءَتْهُ النُّبُوَّةُ؟ أَلَيْلًا أَمْ نَهَارًا!
وَقَالَ الْأَغْنِيَاءُ وَالْمُتَكَبِّرُونَ: أَمَا وَجَدَ اللَّهُ أَحَدًا
غَيْرَهُ؟

أَمَاتَ النَّاسُ كُلُّهُمْ، أَمَا وَجَدَ فِي الْقَوْمِ إِلَّا فَقِيرًا؟
وَقَالَ الْجُهَالُ: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ .
وَقَالُوا: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي
آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ .

وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ إِنَّ نُوحًا يُرِيدُ أَنْ يَنَالَ الرِّيَّاسَةَ
وَالشَّرَفَ بِهَذَا الطَّرِيقِ .

١٣ - بَيْنَ نُوحٍ وَقَوْمِهِ

كَانَ النَّاسُ يَرَوْنَ أَنَّ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ هِيَ الْحَقُّ، وَأَنَّ
عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ هِيَ الْعَقْلُ .

وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الَّذِي لَا يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ هُوَ فِي ضَلَالَةٍ
وَسَفَاهَةٍ .

وَكَانُوا يَقُولُونَ : قَدْ كَانَ آبَاؤُنَا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ فَلِمَذَا
لَا يَعْبُدُهَا هَذَا؟!!

وَكَانَ نُوحٌ يَرَى أَنَّ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ ضَلَالَةٌ، وَأَنَّ عِبَادَةَ
الْأَصْنَامِ سَفَاهَةٌ .

وَكَانَ نُوحٌ يَرَى أَنَّ الْآبَاءَ كَانُوا فِي ضَلَالَةٍ وَسَفَاهَةٍ وَأَنَّ
آدَمَ وَهُوَ أَبُو الْآبَاءِ مَا كَانَ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، بَلْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ .

وَأَنَّ الْقَوْمَ فِي ضَلَالَةٍ وَسَفَاهَةٍ إِذْ يَعْبُدُونَ الْحِجَارَةَ
وَلَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ .

قَامَ نُوحٌ فِي الْقَوْمِ يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا
اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ﴾.

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٦٠).
﴿قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ
الْعَالَمِينَ﴾ (٦١) أَبْلَغُكُمْ رَسُولًا مِّن رَّبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ
اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٦٢).

١٤ - اتَّبِعَكَ الْأَزْدَلُونَ

وَاجْتَهَدَ نُوحٌ كَثِيرًا أَنْ يُؤْمِنَ قَوْمُهُ وَيَعْبُدُوا اللَّهَ
وَيَتْرَكُوا الْأَصْنَامَ.

وَلَكِنْ مَا آمَنَ بِنُوحٍ إِلَّا بَعْضُ الْأَفْرَادِ مِنْ قَوْمِهِ. مَا
آمَنَ بِهِ إِلَّا بَعْضُ الْأَفْرَادِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِأَيْدِيهِمْ وَيَأْكُلُونَ
الْحَلَالَ.

أَمَّا الْأَغْنِيَاءُ مِنْ قَوْمِهِ فَقَدْ مَنَعَهُمْ كِبَرُهُمْ أَنْ يُطِيعُوا
نُوحًا.

وَشَغَلَتْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ أَنْ يُفَكَّرُوا فِي الْآخِرَةِ
وَكَانُوا يَقُولُونَ: نَحْنُ أَشْرَافٌ وَهَؤُلَاءِ أَرَادِلُ.

وَلَمَّا دَعَاهُمْ نُوحٌ إِلَى اللَّهِ قَالُوا:

﴿أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾؟ .

وَطَلَبُوا مِنْ نُوحٍ أَنْ يَطْرُدَ هَؤُلَاءِ الْمَسَاكِينِ .

وَلَكِنَّ نُوحًا أَبَى وَقَالَ: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١١٤) .

إِنَّ بَابِي لَيْسَ بِبَابِ مَلِكٍ، ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (١١٥) .

وَكَانَ نُوحٌ يَعْرِفُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمَسَاكِينِ مُؤْمِنُونَ
مُخْلِصُونَ .

وَأَنَّ اللَّهَ يَغْضَبُ إِذَا طُرِدَ هَؤُلَاءِ الْمَسَاكِينُ، وَإِذْنُ لَا
يَنْصُرُهُ أَحَدٌ .

فَقَالَ نُوحٌ: ﴿وَيَقَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُمُنِي﴾ .

١٥ - حُجَّةُ الْأَغْنِيَاءِ

وَقَالَ الْأَغْنِيَاءُ: الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ نُوحٌ لَيْسَ بِحَقٍّ وَلَيْسَ
بِخَيْرٍ .

لِمَاذَا؟ .

لَأَنَّا جَرَّبْنَا أَنَّا نَحْنُ السَّابِقُونَ فِي كُلِّ خَيْرٍ . لَنَا كُلُّ طَيِّبٍ مِنَ الطَّعَامِ ، وَلَنَا كُلُّ جَمِيلٍ مِنَ اللِّبَاسِ . وَالنَّاسُ فِي كُلِّ شَيْءٍ لَنَا تَبَعٌ .

وإِنَّا رَأَيْنَا أَنَّ الْخَيْرَ لَا يُخْطِئُنَا وَلَا يُجَاوِزُنَا فِي الْمَدِينَةِ .

فَلَوْ كَانَ هَذَا الدِّينُ خَيْرًا لَأَتَانَا قَبْلَ هَؤُلَاءِ الْمَسَاكِينِ ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ .

١٦ - دَعْوَةُ نُوحٍ

وَدَعَا نُوحٌ قَوْمَهُ ، وَاجْتَهَدَ فِي النَّصِيحَةِ .

﴿قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴿٢﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ .

وَكَانَ اللَّهُ حَبَسَ عَنْهُمْ الْمَطَرَ وَغَضِبَ عَلَيْهِمْ وَقَلَّ الْحَرْثُ وَقَلَّ النَّسْلُ .

فَقَالَ نُوحٌ: يَا قَوْمِ إِنِ آمَنْتُمْ بِرِضِي عَنْكُمْ اللَّهُ وَزَالَ
هَذَا الْعَذَابُ.

وَأَرْسَلَ عَلَيْكُمْ الْأَمْطَارَ وَبَارَكَ لَكُمْ فِي الرِّزْقِ
وَالْأَوْلَادِ.

وَدَعَا نُوحٌ قَوْمَهُ إِلَى اللَّهِ وَقَالَ لَهُمْ: أَلَا تَعْرِفُونَ اللَّهَ؟
هَذِهِ آيَاتُ اللَّهِ حَوْلَكُمْ أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَيْهَا؟ أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ...؟
مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ؟ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ
الشَّمْسَ سِرَاجًا؟

وَمَنْ خَلَقَكُمْ. وَجَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا؟

وَلَكِنَّ قَوْمَ نُوحٍ لَمْ يَعْقِلُوا! وَلَكِنَّ قَوْمَ نُوحٍ لَمْ
يُؤْمِنُوا! بَلْ إِذَا دَعَاهُمْ نُوحٌ إِلَى اللَّهِ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ
فِي آذَانِهِمْ.

وَكَيْفَ يَفْهَمُ مَنْ لَا يَسْمَعُ؟ وَكَيْفَ يَسْمَعُ مَنْ لَا يُرِيدُ
أَنْ يَسْمَعَ؟

وَاجْتَهَدَ نُوحٌ كَثِيرًا وَبَقِيَ يَدْعُو قَوْمَهُ زَمَنًا طَوِيلًا .
مَكَثَ نُوحٌ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا يَدْعُوهُمْ
إِلَى اللَّهِ .

وَلَكِنَّ قَوْمَ نُوحٍ لَمْ يُؤْمِنُوا .
وَلَمْ يَتْرَكُوا عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ ، وَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ .
فَالِى مَتَى يَنْتَظِرُ نُوحٌ؟ إِلَى مَتَى يَرَى فَسَادَ الْأَرْضِ؟
إِلَى مَتَى يَرَى الْحِجَارَةَ تُعْبَدُ؟
إِلَى مَتَى يَرَى النَّاسَ يَأْكُلُونَ رِزْقَ اللَّهِ وَيَعْبُدُونَ غَيْرَهُ؟
لِمَاذَا لَا يَغْضَبُ نُوحٌ؟ إِنَّهُ صَبَرَ صَبْرًا لَمْ يَصْبِرْ أَحَدٌ مِثْلَهُ!
أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ . وَقَدْ
أَوْحَى اللَّهُ إِلَى نُوحٍ: ﴿أَنْتَ لَنْ تُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ
ءَامَنَ﴾ .

وَقَالَ قَوْمُ نُوحٍ لَمَّا دَعَاهُمْ نُوحٌ مَرَّةً أُخْرَى .
﴿يَنُوحُ قَدْ جَدَلْنَا فَاكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأِنَّا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ
كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ .

وَغَضِبَ نُوحٌ لِلّٰهِ وَيَيْئَسَ مِنْ هَؤُلَاءِ وَقَالَ: اللّٰهُمَّ لَا تَتْرُكْ عَلَيَّ الْأَرْضَ أَحَدًا مِنَ الْكَافِرِينَ.

١٨ - السَّفِينَةُ

وَأَجَابَ اللّٰهُ دَعْوَةَ نُوحٍ وَأَرَادَ أَنْ يُغْرِقَ قَوْمَهُ وَلَكِنَّ اللّٰهَ يُرِيدُ كَذَلِكَ أَنْ يَنْجُو نُوحٌ وَالْمُؤْمِنُونَ.
فَأَمَرَ نُوحًا أَنْ يَصْنَعَ سَفِينَةً كَبِيرَةً.
وَبَدَأَ نُوحٌ يَصْنَعُ سَفِينَةً كَبِيرَةً.
وَرَأَاهُ قَوْمُهُ فِي هَذَا الشُّغْلِ فَوَجَدُوا شُغْلًا.
وَصَارُوا يَسْخَرُونَ مِنْهُ.
مَا هَذَا يَا نُوحُ؟ مِنْ مَتَى صِرْتَ نَجَّارًا؟
أَمَا كُنَّا نَقُولُ لَكَ لَا تَجْلِسْ إِلَى هَؤُلَاءِ الْأَرَاذِلِ.
وَلَكِنَّكَ مَا سَمِعْتَ كَلَامَنَا وَجَلَسْتَ إِلَى النَّجَّارِينَ
وَالْحَدَّادِينَ فَصِرْتَ نَجَّارًا!
وَأَيْنَ تَمْشِي هَذِهِ السَّفِينَةُ يَا نُوحُ؟ إِنَّ أَمْرَكَ كُلَّهُ عَجَبٌ.
أَتَمْشِي هَذِهِ فِي الرَّمْلِ أَمْ تَصْعَدُ الْجَبَلَ؟

الْبَحْرُ مِنْ هُنَا بَعِيدٌ جِدًّا، هَلْ يَحْمِلُهَا الْجِنُّ أَمْ تَجْرُهَا
الشَّيْرَانُ؟

وَكَانَ نُوحٌ يَسْمَعُ كُلَّ ذَلِكَ وَيَصْبِرُ، وَقَدْ سَمِعَ أَشَدَّ
مِنْ هَذَا فَصَبَرَ!

وَلَكِنَّهُ كَانَ يَقُولُ لَهُمْ أَحْيَانًا: ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا
نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾.

١٩ - الطُّوفَانُ

وَجَاءَ وَعْدُ اللَّهِ فَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ!
أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ وَأَمْطَرَتْ وَأَمْطَرَتْ وَأَمْطَرَتْ.
حَتَّى كَأَنَّ السَّمَاءَ مِنْخَلَةٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً.
وَنَبَعَ الْمَاءُ وَسَالَ حَتَّى أَحَاطَ بِالنَّاسِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.
وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى نُوحٍ: خُذْ مَعَكَ مَنْ آمَنَ بِكَ مِنْ
قَوْمِكَ وَأَهْلِكَ.

وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى نُوحٍ أَنْ يَأْخُذَ مَعَهُ مِنْ كُلِّ حَيَوَانٍ
وَطَائِرٍ زَوْجًا، ذَكَرًا وَأُنْثَى.

لَأَنَّ الطُّوفَانَ عَامٌّ لَا يَنْجُو مِنْهُ إِنْسَانٌ وَلَا حَيَّوَانٌ .
وَكَذَلِكَ فَعَلَ نُوحٌ ، فَكَانَ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ
قَوْمِهِ .

وَمِنْ كُلِّ حَيَّوَانٍ وَطَائِرٍ زَوْجٌ .
وَسَارَتِ السَّفِينَةُ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ .
وَارْتَقَى الْقَوْمُ كُلُّ مَكَانٍ عَالٍ وَكُلُّ رَبْوَةٍ يَفْرُونَ مِنْ
عَذَابِ اللَّهِ .
وَلَكِنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ .

٢٠ - ابْنُ نُوحٍ

وَكَانَ لِنُوحٍ ابْنٌ كَانَ مَعَ الْكَافِرِينَ .
وَرَأَى نُوحٌ ابْنَهُ فِي الطُّوفَانِ فَقَالَ : ﴿يَبْنَىٰ أَرَكَبَ
مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ .
﴿قَالَ سَتَأْتِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ .
﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ .
﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ .
وَحَزَنَ نُوحٌ عَلَىٰ ابْنِهِ ، وَكَيْفَ لَا يَحْزَنُ وَهُوَ ابْنُهُ .

وَأَرَادَ أَنْ يَنْجُو ابْنُهُ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذْ لَمْ يَنْجُ مِنَ
الْمَاءِ أَمْسٍ .

إِنَّ النَّارَ أَشَدُّ مِنَ الْمَاءِ ، وَإِنَّ عَذَابَ الْآخِرَةِ أَشَقُّ أَمَّا
وَعْدُهُ اللَّهُ أَنَّهُ يُنْجِي أَهْلَهُ؟ بَلَى ! إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ .
فَأَرَادَ أَنْ يَشْفَعَ لَابْنِهِ عِنْدَ اللَّهِ .

٢١ - لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ
الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ﴾ .

وَلَكِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى الْأَنْسَابِ بَلْ يَنْظُرُ إِلَى الْأَعْمَالِ .
وَاللَّهُ لَا يَقْبَلُ الشَّفَاعَةَ فِي الْمُشْرِكِينَ .

وَلَيْسَ الْمُشْرِكُ مِنْ أَهْلِ النَّبِيِّ وَإِنْ كَانَ ابْنُهُ .

فَنَبَّهَ اللَّهُ نُوحًا عَلَى ذَلِكَ وَقَالَ : ﴿يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ
أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي
أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ .

وَتَنَبَّهَ نُوحٌ وَتَابَ إِلَى اللَّهِ وَقَالَ :

﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ .

٢٢ - بَعْدَ الطُّوفَانِ

وَلَمَّا كَانَ مَا أَرَادَهُ اللَّهُ وَغَرِقَ الْكُفَّارُ أُمْسَكَتِ السَّمَاءُ
وَوَغَارَ الْمَاءُ .

وَاسْتَوَتْ السَّفِينَةُ عَلَى جَبَلٍ الْجُودِيِّ ﴿وَقِيلَ بَعْدًا لِلْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ﴾ .

وَقِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ .
وَهَبَطَ نُوحٌ وَأَصْحَابُ السَّفِينَةِ يَمْشُونَ عَلَى الْبَرِّ بِسَلَامٍ .
وَهَلَكَ الْكُفَّارُ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ
وَالْأَرْضُ .

وَبَارَكَ اللَّهُ فِي ذُرِّيَّةِ نُوحٍ فَاِنتَشَرَتْ فِي الْأَرْضِ
وَمَلَأَتِ الْأَرْضَ .

وَكَانَ فِيهَا أُمَّمٌ وَكَانَ فِيهَا أَنْبِيَاءُ وَمُلُوكٌ .

﴿سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ (٧٩) .

﴿سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ (٧٩) .



العاصفة

١ - بَعْدَ نُوحٍ

بَارَكَ اللَّهُ فِي ذُرِّيَّةِ نُوحٍ فَاَنْتَشَرَتْ فِي الْأَرْضِ .
وَكَانَ مِنْهَا أُمَّةٌ يُقَالُ لَهَا عَادٌ .
وَكَانُوا رِجَالًا أَقْوِيَاءَ ، أَجْسَامُهُمْ كَأَنَّهَا مِنْ حَدِيدٍ
يَغْلِبُونَ كُلَّ وَاحِدٍ وَلَا يَغْلِبُهُمْ أَحَدٌ .
وَلَا يَخَافُونَ أَحَدًا وَيَخَافُهُمْ كُلُّ أَحَدٍ .
وَبَارَكَ اللَّهُ لِعَادٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، فَكَانَتْ إِبِلُ عَادٍ
وَعَنْمُهَا تَمْلَأُ الْوَادِي .
وَكَانَتْ خَيْلُ عَادٍ تَمْلَأُ الْمِيدَانَ .
وَكَانَتْ أَوْلَادُ عَادٍ تَمْلَأُ الْبُيُوتَ .
وَإِذَا خَرَجَتْ إِبِلُ عَادٍ وَعَنْمُهَا إِلَى الْمَرْعَى كَانَ لَهَا
مَنْظَرٌ جَمِيلٌ جَدًّا .

وَإِذَا خَرَجَ الْأَطْفَالُ فِي الصَّبَاحِ يَلْعَبُونَ كَانَ لَهُمْ مَنَظَرٌ
جَمِيلٌ جِدًّا .

وَكَانَتْ أَرْضُ عَادٍ كَذَلِكَ أَرْضًا جَمِيلَةً خَضِرَاءَ، فِيهَا
بَسَاتِينُ وَعُيُونٌ كَثِيرَةٌ .

٢ - كُفْرَانُ عَادٍ

وَلَكِنَّ عَادًا لَمْ يَشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ الْكَثِيرَةِ
وَنَسِيَتْ عَادٌ قِصَّةَ الطُّوفَانِ الَّتِي سَمِعُوهَا مِنْ آبَائِهِمْ وَرَأَوْا
آثَارَهُ فِي الْأَرْضِ .

وَنَسُوا لِمَاذَا أَرْسَلَ اللَّهُ الطُّوفَانِ عَلَى أُمَّةِ نُوحٍ .
وَصَارُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ كَمَا كَانَتْ أُمَّةُ نُوحٍ تَعْبُدُ
الْأَصْنَامَ .

وَكَانُوا يَنْحِتُونَ الْأَصْنَامَ مِنَ الْحِجَارَةِ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ
يَسْجُدُونَ لَهَا وَيَعْبُدُونَهَا .

وَكَانُوا يَسْأَلُونَهَا حَاجَاتِهِمْ وَيَدْعُونَهَا وَيَذْبَحُونَ لَهَا
وَكَانُوا عَلَى أَثَرِ أُمَّةِ نُوحٍ .

وَكَاثَتْ عُقُولُهُمْ لَا تَمْنَعُهُمْ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ .
وَكَاثَتْ عُقُولُهُمْ لَا تَهْدِيهِمْ .
وَكَانُوا عُقْلَاءَ فِي الدُّنْيَا أَغْيَاءَ فِي الدِّينِ .

٣ - عُذْوَانُ عَادٍ

وَصَارَتْ قُوَّةُ عَادٍ وَبَالًا عَلَيْهِمْ وَعَلَى النَّاسِ .
لَأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ .
فَمَاذَا يَمْنَعُهُمْ مِنَ الظُّلْمِ؟ وَمَاذَا يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْعُدْوَانِ؟
وَلِمَاذَا لَا يَظْلِمُونَ النَّاسَ؟ وَهُمْ لَا يَرَوْنَ فَوْقَهُمْ
أَحَدًا، وَلَا يَخَافُونَ حِسَابًا وَلَا عِقَابًا .
وَكَانُوا كَوُحُوشِ الْغَابَةِ يَظْلِمُ الْكَبِيرُ مِنْهُمْ الصَّغِيرَ،
وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنْهُمْ الضَّعِيفَ .
وَإِذَا غَضِبُوا كَانُوا كَالْفِيلِ الْهَائِجِ، لَا يَلْقَى شَيْئًا إِلَّا
قَتَلَهُ .

وَكَانُوا إِذَا حَارَبُوا أَهْلَكُوا الْحَرِثَ وَالنَّسْلَ .
وَإِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَازَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً .

وَكَانَ الضُّعَفَاءُ يَخَافُونَ شَرَّهُمْ، وَيَفِرُّونَ مِنْ ظُلْمِهِمْ.
وَصَارَتْ قُوَّتُهُمْ وَبَالاً عَلَيْهِمْ وَعَلَى النَّاسِ.
وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ لَا يَخَافُ اللَّهَ وَلَا يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ.

٤ - قُصُورُ عَادٍ

وَكَانَ عَادٌ لَا شُغْلَ لَهُمْ إِلَّا الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ وَاللَّهُوُ
وَاللَّعِبُ.

وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَفْخَرُ عَلَى بَعْضٍ فِي بِنَاءِ الْقُصُورِ
الْعَالِيَةِ وَالْبُيُوتِ الْوَاسِعَةِ.

وَكَانَتْ أَمْوَالُهُمْ تَضِيْعُ فِي الْمَاءِ وَالطِّينِ وَالْحِجَارَةِ
وَكَانُوا لَا يَرَوْنَ مَكَاناً خَالِياً أَوْ أَرْضاً مُرْتَفِعَةً إِلَّا بَنَوْا
عَلَيْهَا قَصراً رَفِيعاً.

وَكَانُوا يَبْنُونَ بُيُوتاً كَأَنَّمَا يَسْكُنُونَ فِيهَا دَائِماً وَلَا
يَمُوتُونَ أَبَداً.

وَكَانُوا يَبْنُونَ قُصُوراً مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ وَالنَّاسُ لَا
يَجِدُونَ مَا يَأْكُلُونَ وَيَلْبَسُونَ.

وَكَانَ الْفُقَرَاءُ مِنْهُمْ لَا يَجِدُونَ بَيْتًا يَسْكُنُونَ فِيهِ وَبُيُوتُ
الْأَغْبِيَاءِ لَا سَاكِنَ فِيهَا، وَمَنْ رَأَاهُمْ وَرَأَى قُصُورَهُمْ
عَرَفَ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ.

٥ - هُوَذَا الرَّسُولُ

وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُرْسِلَ إِلَى عَادٍ رَسُولًا.
إِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ.

وَكَانَ عَادٌ لَا يَسْتَعْمِلُونَ عُقُولَهُمْ إِلَّا فِي الْأَكْلِ
وَالشَّرْبِ وَاللَّهْوِ وَاللَّعِبِ وَبِنَاءِ الْبُيُوتِ.

وَقَدْ فَسَدَتْ عُقُولُهُمْ لِأَنَّهُمْ لَا يَسْتَعْمِلُونَهَا فِي الدِّينِ
وَكَانَ عَادٌ عُقْلَاءَ فِي الدُّنْيَا أَغْبِيَاءَ فِي الدِّينِ، يَعْْبُدُونَ
الْحِجَارَةَ وَلَا يَعْقِلُونَ.

فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا يَهْدِيهِمْ.
وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الرَّسُولُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ،
يَعْرِفُونَهُ وَيَفْهَمُونَ كَلَامَهُ.

كَانَ هُودٌ ذَلِكَ الرَّسُولَ، وَلِدَ فِي بَيْتٍ شَرِيفٍ فِي عَادٍ
وَنَشَأَ عَلَى عَقْلِ وَصَلَاحٍ.

٦ - دَعْوَةُ هُودٍ

وَقَامَ هُودٌ فِي قَوْمِهِ يَدْعُو وَيَقُولُ:
﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾.
وَقَالَ هُودٌ: يَا قَوْمِ كَيْفَ تَعْبُدُونَ الْحِجَارَةَ وَلَا
تَعْبُدُونَ الَّذِي خَلَقَكُمْ؟!
يَا قَوْمِ هَذِهِ الْحِجَارَةُ الَّتِي نَحْتَمُوهَا أَمْسِ كَيْفَ
تَعْبُدُونَهَا الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ، وَبَارَكَ لَكُمْ فِي
الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَالْحَرْثِ وَالنَّسْلِ.
وَجَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَرَزَقَكُمْ قُوَّةً فِي
الْجِسْمِ.
كَانَ مِنْ حَقِّ هَذِهِ النِّعَمِ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَعْبُدُوا غَيْرَهُ.
إِنَّ هَذَا الْكَلْبَ الَّذِي تَرْمُونَ إِلَيْهِ بِعَظْمٍ لَا يُفَارِقُ بَيْتَكُمْ
وَيَتَّبِعُكُمْ كَالظِّلِّ.

أَفَرَأَيْتُمْ كَلْبًا يَتْرُكُ سَيِّدَهُ وَيَذْهَبُ إِلَى غَيْرِهِ؟
 أَوْ رَأَيْتُمْ حَيَوَانًا يَعْبُدُ حَجَرًا، أَوْ رَأَيْتُمْ حَيَوَانًا يَسْجُدُ
 لِيَصْنَمٍ؟
 هَلِ الْإِنْسَانُ أَذَلُّ مِنَ الْحَيَوَانِ، أَمْ هُوَ أَجَلُّ مِنَ
 الْحَيَوَانِ؟

٧ - جَوَابُ الْقَوْمِ

كَانَ الْقَوْمُ فِي شُغْلٍ مِنَ الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَاللَّهْوِ
 وَاللَّعِبِ .

وَقَدْ رَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأْنَوْا بِهَا .

ضَاقَ قَلْبُهُمْ بِكَلَامِ هُودٍ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : مَا
 يَقُولُ هُودٌ؟ مَاذَا يُرِيدُ هُودٌ؟ نَحْنُ لَا نَفْهَمُ كَلَامَهُ!

قَالُوا : سَفِيهٌ أَوْ مَجْنُونٌ!

وَلَمَّا دَعَاهُمْ هُودٌ مَرَّةً أُخْرَى، قَالَ أَشْرَافُ قَوْمِهِ :
 ﴿ إِنَّا لَنَرِيكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ .

﴿قَالَ يَنْقَوْمَ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾﴾ .

﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولًا لِّيَ بَيِّنَاتٌ لَّكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ .

٨ - حِكْمَةُ هُودٍ

وَمَا زَالَ هُودٌ يَنْصَحُ لِقَوْمِهِ وَيَدْعُوهُمْ بِحِكْمَةٍ وَرَفْقٍ .
قَالَ هُودٌ: يَا قَوْمِ أَنَا أَخَوُكُمْ وَصَدِيقُكُمْ بِالْأُمْسِ! أَلَا
تَعْرِفُونَنِي؟

يَا إِخْوَانِي! لِمَآذَا تَخَافُونَنِي وَتَفِرُونَ مِنِّي، إِنِّي لَا
أُنْقِصُ مِنْ مَالِكُمْ شَيْئًا .

﴿وَيَنْقَوْمَ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ .
يَا قَوْمِ مَاذَا تَخَافُونَ إِنْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ، وَاللَّهُ لَا تَفْقِدُونَ
مِنْ أَمْوَالِكُمْ شَيْئًا إِذَا آمَنْتُمْ بِاللَّهِ!

بَلْ يُبَارِكُ اللَّهُ لَكُمْ فِي الرِّزْقِ وَيَزِيدُ فِي قُوَّتِكُمْ .
وَيَا قَوْمِ لِمَآذَا تَتَعَجَّبُونَ مِنْ رِسَالَتِي؟ إِنَّ اللَّهَ لَا يُكَلِّمُ
وَاحِدًا وَاحِدًا!

إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَاطَبُ كُلَّ أَحَدٍ يَقُولُ لَهُ: افْعَلْ كَذَا،
افْعَلْ كَذَا!

إِنَّ اللَّهَ يُرْسِلُ إِلَى كُلِّ قَوْمٍ رَجُلًا مِنْهُمْ يُكَلِّمُهُمْ
وَيُنْصَحُ لَهُمْ.

وَقَدْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ أَكَلِّمُكُمْ وَأَنْصَحُ لَكُمْ: ﴿أَوْ عَجَبْتُمْ
أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ﴾؟

٩ - إِيْمَانُ هُودٍ

وَلَمْ تَجِدْ عَادَ جَوَابًا! وَمَا عَلِمُوا كَيْفَ يُجِيبُونَ هُودًا!
وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا لَمَّا عَجَزُوا: قَدْ غَضِبْتَ عَلَيْكَ آلِهَتُنَا
فَأَصَابَكَ مَرَضٌ فِي عَقْلِكَ!.

وَقَدْ وَقَعَ عَلَيْكَ وَبَالٌ مِنَ الْآلِهَةِ.

قَالَ هُودٌ: إِنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ حِجَارَةٌ لَا تَنْفَعُ أَحَدًا وَلَا
تَضُرُّ!

وَأَنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ حِجَارَةٌ لَا تَتَكَلَّمُ وَلَا تَسْمَعُ وَلَا
تَنْظُرُ!

إِنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ لَا تَمْلِكُ خَيْرًا وَلَا شَرًّا.
 وَلَا تَمْلِكُ لِأَحَدٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا.
 وَإِنَّكُمْ أَيْضًا لَا تَمْلِكُونَ خَيْرًا وَلَا شَرًّا.
 وَلَا تَمْلِكُونَ لِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا.
 إِنِّي لَا أُوْمِنُ بِآلِهَتِكُمْ وَلَا أَخَافُهُمْ.
 ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾.
 وَلَا أَخَافُكُمْ أَيْضًا ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾.
 ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾.
 كُلُّ شَيْءٍ تَحْتَ يَدِهِ، وَلَا تَسْقُطُ وَرَقَةٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ.

١٠ - عِنَادُ عَادٍ

سَمِعْتُ عَادَ كُلَّ ذَلِكَ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا!
 ضَاعَتْ فِيهِمْ نَصِيحَةُ هُودٍ! ضَاعَتْ فِيهِمْ حِكْمَةُ هُودٍ.
 وَقَالُوا يَا هُودُ مَا عِنْدَكَ دَلِيلٌ وَلَا بَيِّنَةٌ!
 وَلَا نَتْرُكُ يَا هُودُ آلِهَتَنَا الْقَدِيمَةَ لِقَوْلِكَ الْجَدِيدِ.
 أَنْتَرُكُ الْآلِهَةَ الَّتِي كَانَ يَعْبُدُهَا آبَاؤُنَا لِقَوْلِ قَائِلٍ؟

أَبَدًا، أَبَدًا.

وَيَا هُودُ إِنَّكَ لَا تُؤْمِنُ بِإِلَهَتِنَا وَلَا تَخَافُهُمْ.

فَإِنَّا لَا نُؤْمِنُ بِإِلَهِكَ وَلَا نَخَافُ عَذَابَهُ.

وَإِنَّا نَسْمَعُكَ كَثِيرًا تَذْكُرُ الْعَذَابَ، فَأَيْنَ هُوَ يَا هُودُ،

وَمَتَى يَجِيءُ.

قَالَ هُودٌ: ﴿إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

قَالَتْ عَادٌ: فَإِنَّا نَنْتَظِرُ ذَلِكَ الْعَذَابَ وَنَشْتَاقُ أَنْ

نَرَاهُ.

وَتَعَجَّبَ هُودٌ مِنْ جَرَاءَتِهِمْ، وَتَأَسَّفَ هُودٌ عَلَى

سَفَاهَتِهِمْ.

١١ - الْعَذَابُ

وَكَانَ عَادٌ يَنْتَظِرُونَ الْمَطَرَ كُلَّ يَوْمٍ وَيَنْظُرُونَ إِلَى

السَّمَاءِ فَلَا يَرُونَ قِطْعَةً سَحَابٍ.

وَكَانُوا فِي حَاجَةٍ إِلَى الْمَطَرِ، وَكَانَ لَهُمْ شَوْقٌ عَظِيمٌ

إِلَى الْمَطَرِ.

ذَاتَ يَوْمٍ رَأَوْا سَحَابَةً تَأْتِي إِلَيْهِمْ، فَفَرَحُوا جِدًّا.
وَصَاحُوا: هَذِهِ سَحَابَةٌ مَطَرٌ! هَذِهِ سَحَابَةٌ مَطَرٌ.

وَرَقَصَ النَّاسُ فَرَحًا، وَنَادَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَقَالُوا:
سَحَابَةٌ مَطَرٌ! سَحَابَةٌ مَطَرٌ!

وَلَكِنَّ هُودًا فِيهِمْ أَنَّ الْعَذَابَ قَدْ جَاءَ.

وَقَالَ لَهُمْ هُودٌ: لَيْسَ هَذَا سَحَابَ رَحْمَةٍ، بَلْ هُوَ
رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ.

وَكَانَ كَذَلِكَ، فَقَدْ هَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ مَا رَأَى النَّاسُ
مِثْلَهَا، وَمَا سَمِعَ النَّاسُ بِمِثْلِهَا.

وَهَبَّتِ الْعَاصِفَةُ تَقْلَعُ الْأَشْجَارَ، وَتَهْدِمُ الْبُيُوتَ،
وَتَحْمِلُ الدَّوَابَّ، وَتَرْمِيهَا إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ.

وَطَارَتْ رِمَالُ الصَّحَرَاءِ، وَأَظْلَمَتِ الدُّنْيَا فَلَا يَرَى
الْإِنْسَانُ شَيْئًا.

وَدَخَلَهُمُ الرُّعْبُ فَدَخَلُوا بُيُوتَهُمْ وَأَغْلَقُوا أَبْوَابَهَا.
وَاعْتَنَقَ الْأَطْفَالُ بِالْأُمّهَاتِ، وَاعْتَنَقَ النَّاسُ بِالْجُدْرَانِ،
وَدَخَلَ النَّاسُ الْحُجُرَاتِ.

الْأَطْفَالُ يَبْكُونَ، وَالنِّسَاءُ يَصِحْنَ، وَالرِّجَالُ يَدْعُونَ
وَيَسْتَغِيثُونَ.

وَكَأَنَّ قَائِلًا يَقُولُ:

﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾.

كَانَ ذَلِكَ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ.

وَمَاتَ الْقَوْمُ فَكَانُوا كَأَشْجَارِ النَّخِيلِ سَقَطَتْ عَلَى
الْأَرْضِ وَكَانَ مَنظَرًا غَرِيبًا جِدًّا، النَّاسُ أَمْوَاتٌ يَأْكُلُهُمُ
الطَّيْرُ، وَالْبُيُوتُ خَرَابٌ يَسْكُنُهَا الْبُومُ.

وَنَجَا هُودٌ وَالْمُؤْمِنُونَ بِإِيمَانِهِمْ، وَهَلَكَتْ عَادٌ بِكُفْرِهَا
وَعِنَادِهَا.

﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بَعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾.



ناقَةُ ثَمُودَ

١ - بَعْدَ عَادٍ

وَرِثْتُ ثَمُودُ عَاداً كَمَا وَرِثْتُ عَادُ أُمَّةَ نُوحٍ .
وَكَانَتْ ثَمُودُ عَلَى أَثَرِ عَادٍ، كَمَا كَانَتْ عَادُ عَلَى أَثَرِ
أُمَّةِ نُوحٍ .

وَكَانَتْ أَرْضُ ثَمُودَ أَيْضاً أَرْضاً جَمِيلَةً خَضِرَاءَ،
فِيهَا بَسَاتِينُ وَعُيُونٌ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ .

وَكَانَتْ ثَمُودُ كَعَادٍ فِي الْعِمَارَةِ وَالزَّرَاعَةِ وَفِي كَثَرَةِ
الْبَسَاتِينِ .

وَفَاقَوْهُمْ فِي الْعَقْلِ وَالصَّنَاعَةِ، فَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ
الْجِبَالِ بُيُوتاً وَاسِعَةً جَمِيلَةً، وَيَنْقُشُونَ فِي الْحِجَارَةِ
نُقُوشاً بَدِيعَةً .

وَقَدْ لَانَ لَهُمُ الْحَجَرُ بِعَقْلِهِمْ وَصِنَاعَتِهِمْ فَيَصْنَعُونَ بِهِ
مَا يَصْنَعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّمْعِ .

وَإِذَا دَخَلَ الْإِنْسَانُ مَدِينَتَهُمْ رَأَى عَجَبًا ، رَأَى قُصُورًا
عَظِيمَةً كَالْجِبَالِ كَأَنَّمَا بَنَاهَا الْجِنُّ ، وَرَأَى أَزْهَارًا جَمِيلَةً
فِي الْجُدُرَانِ كَأَنَّمَا أَنْبَتَهَا الرَّبِيعُ .

وَقَدْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَى ثَمُودَ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ ، وَقَدْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَى ثَمُودَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ .

جَادَتْ لَهُمُ السَّمَاءُ بِالْأَمْطَارِ ، وَجَادَتْ لَهُمُ الْأَرْضُ
بِالنَّبَاتِ وَالْأَزْهَارِ ، وَجَادَتْ لَهُمُ الْبَسَاتِينُ بِالْفَوَاكِهِ
وَالْأَثْمَارِ ، وَبَارَكَ اللَّهُ لَهُمْ فِي الرِّزْقِ وَالْأَعْمَارِ .

٢ - كُفْرَانُ ثَمُودَ

وَلَكِنَّ كُلَّ ذَلِكَ لَمْ يَحْمِلْ ثَمُودَ عَلَى الشُّكْرِ وَعِبَادَةِ اللَّهِ
تَعَالَى .

بَلْ حَمَلَهُمْ ذَلِكَ عَلَى الْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ ، وَنَسُوا اللَّهَ
وَفَرِحُوا بِمَا أُوتُوا وَقَالُوا : مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ؟

وَضَنُّوا أَنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ، وَلَا يَخْرُجُونَ مِنْ قُصُورِهِمْ
وَجَنَائِهِمْ أَبَدًا.

وَضَنُّوا أَنَّ الْمَوْتَ لَا يَدْخُلُ فِي هَذِهِ الْجِبَالِ وَلَا يَجِدُ
إِلَيْهِمْ سَبِيلًا!

لَعَلَّهُمْ كَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ أُمَّةَ نُوحٍ إِنَّمَا غَرِقَتْ لِأَنَّهَا
كَانَتْ فِي الْوَادِي.

وَأَنَّ عَادًا إِنَّمَا هَلَكُوا لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي السَّهْلِ!
وَأَنَّهُمْ مِنَ الْخَوْفِ وَالْمَوْتِ بِمَكَانٍ آمِنٍ.

٣ - عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ

وَلَمْ يَكْفِهِمْ هَذَا بَلْ نَحَتُوا الْحِجَارَةَ وَعَبَدُوا الْأَصْنَامَ.
وَصَارُوا يَعْبُدُونَ الْحِجَارَةَ كَمَا كَانَتْ أُمَّةُ نُوحٍ
تَعْبُدُهَا، وَكَذَلِكَ عَادٌ.

إِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَهُمْ مُلُوكَ الْحِجَارَةِ وَلَكِنَّهُمْ مِنْ جَهْلِهِمْ
صَارُوا عِبَادَ الْحِجَارَةِ.

إِنَّ اللَّهَ كَرَّمَهُمْ وَرَزَقَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ.

وَلَكِنَّهُمْ أَهَانُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهَانُوا الْإِنْسَانَ .
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ﴾ .
عَجَبًا ! إِنَّ الْحَجَرَ الَّذِي يَنْحِتُونَهُ بِأَيْدِيهِمْ فَلَا يَأْبَى وَلَا
يَعْصِيهِمْ .

قَدْ خَضَعُوا لَهُ وَوَقَعُوا سَاجِدِينَ ! .
أَيَعْبُدُ الْقَوِيُّ الضَّعِيفَ ؟ أَيْسَجُدُ السَّيِّدُ لِعَبْدِهِ ؟ وَلَكِنَّهُمْ
نَسُوا اللَّهَ فَنَسُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَأَبَوْا أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ
فَأَذَلَّهُمُ اللَّهُ .

٤ - صَالِحٌ
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا ، كَمَا أُرْسِلَ إِلَى
أُمَّةِ نُوحٍ وَأُرْسِلَ إِلَى عَادٍ رَسُولًا .
إِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ .

وَكَانَ فِيهِمْ رَجُلٌ اسْمُهُ صَالِحٌ، وَلَدَ فِي بَيْتٍ شَرِيفٍ،
وَنَشَأَ عَلَى عَقْلِ وَصَلَاحٍ.

وَكَانَ وَلَدًا نَجِيبًا جَدًّا، وَكَانَ وَلَدًا رَشِيدًا جَدًّا، يُشِيرُ
إِلَيْهِ النَّاسُ.

وَيَقُولُونَ: هَذَا صَالِحٌ، هَذَا صَالِحٌ.

وَكَانَ لِلنَّاسِ فِيهِ رَجَاءٌ كَبِيرٌ، يَقُولُونَ: سَيَكُونُ لَهُ
شَأْنٌ، سَيَكُونُ لَهُ شَأْنٌ.

يَرَى النَّاسُ أَنَّ صَالِحًا يَكُونُ مِنْ أَشْرَافِهِمْ، وَيَكُونُ
مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ.

وَيَرَوْنَ أَنَّهُ سَيَكُونُ لَهُ قَصْرٌ جَمِيلٌ وَبُسْتَانٌ كَبِيرٌ.

وَيَرَى أَبُوهُ أَنَّ ابْنَهُ يَكْسِبُ بِعَقْلِهِ مَالًا عَظِيمًا وَيَخْرُجُ
فِي النَّاسِ.

يَخْرُجُ عَلَى فَرَسٍ وَوَرَاءَهُ الْخَدَمُ، فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ النَّاسُ،
وَيَقُولُونَ هَذَا ابْنُ فُلَانٍ، هَذَا ابْنُ فُلَانٍ!

وَكَمَّ يَكُونُ سُرُورُهُ إِذَا سَمِعَ النَّاسَ يَقُولُونَ إِنَّهُ سَعِيدٌ
جَدًّا، إِنَّ ابْنَهُ غَنِيٌّ جَدًّا.

وَلَكِنَّ اللَّهَ أَرَادَ غَيْرَ ذَلِكَ، إِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُشَرِّفَهُ
بِالنُّبُوَّةِ وَيُرْسِلَهُ إِلَى قَوْمِهِ، لِيُخْرِجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
النُّورِ.

وَهَلْ فَوْقَ ذَلِكَ شَرَفٌ؟ وَهَلْ فَوْقَ ذَلِكَ كَرَامَةٌ؟

٥ - دَعْوَةُ صَالِحٍ

وَقَامَ صَالِحٌ فِي قَوْمِهِ يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ:

﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾.

وَكَانَ الْأَغْنِيَاءُ فِي شُغْلٍ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَكَانُوا

فِي لَهْوٍ وَلَعِبٍ.

وَكَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَلَا يَرَوْنَ إِلَهًا غَيْرَهَا، فَمَا

أَعْجَبَتْهُمْ دَعْوَةُ صَالِحٍ، غَضِبَ الْأَغْنِيَاءُ ثُمُودَ وَقَالُوا: مَنْ
هَذَا؟

قَالَ الْخُدَّامُ: هَذَا صَالِحٌ.

قَالُوا: مَاذَا يَقُولُ؟

قَالُوا: يَقُولُ: اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ،

وَيَقُولُ إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُكُمْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ وَيَجْزِيكُمْ . وَيَقُولُ : أَنَا رَسُولُ اللَّهِ أُرْسَلَنِي إِلَى قَوْمِي .

ضَحِكَ الْأَغْنِيَاءُ وَقَالُوا : مِسْكِينُ ! هَلْ يَكُونُ هَذَا رَسُولًا ؟ مَا عِنْدَهُ قَصْرٌ وَلَا بُسْتَانٌ ، وَمَا لَهُ زَرْعٌ وَلَا نَخِيلٌ ! فَكَيْفَ يَكُونُ هَذَا رَسُولًا ؟

٦ - رِيعَايَةُ الْأَغْنِيَاءِ

وَرَأَى الْأَغْنِيَاءُ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَمِيلُونَ إِلَى صَالِحٍ فَخَافُوا عَلَى رِيَاسَتِهِمْ وَقَالُوا : ﴿ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ .

﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴾ (٣٤) .
﴿ أَيْعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ ﴾ (٣٥) .
﴿ هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴾ (٣٦) .
﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ (٣٧) .

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ .

٧ - قَدْ أَخْطَأَ ظَنُّنَا

وَكَفَرَ النَّاسُ بِصَالِحٍ وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ .
وَلَمَّا وَعَظَهُمْ صَالِحٌ وَمَنَعَهُمْ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ قَالُوا :
يَا صَالِحُ كُنْتَ وَلَدًا نَجِيًّا جَدًّا ، وَكُنْتَ وَلَدًا رَشِيدًا
جَدًّا وَكُنَّا نَظُنُّ أَنَّكَ سَتَكُونُ مِنْ كِبَارِ النَّاسِ وَأَشْرَافِهِمْ .
وَكُنَّا نَظُنُّ أَنَّكَ سَتَكُونُ مِثْلَ فُلَانٍ وَفُلَانٍ فَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا .
وَالَّذِينَ كَانُوا فِي سِنِّكَ ، وَكَانُوا دُونَكَ فِي الْعَقْلِ
أَضْبَحُوا رِجَالًا كِبَارًا .

وَأَنْتَ يَا صَالِحُ أَخَذْتَ سَبِيلَ الْفَقْرِ ؛ قَدْ أَخْطَأَ ظَنُّنَا
فِيكَ ، قَدْ خَابَ رَجَاؤُنَا فِيكَ .

مِسْكِينُ أَبُوكَ ، مَا نَالَ خَيْرًا مِنْكَ .
مِسْكِينَةُ أُمُّكَ ، لَقَدْ ضَاعَ تَعَبُهَا فِيكَ !
سَمِعَ صَالِحٌ كُلَّ هَذَا وَتَأَسَّفَ عَلَى قَوْمِهِ ؛ وَإِذَا مَرَّ
صَالِحٌ بِقَوْمٍ قَالُوا : رَحِمَ اللَّهُ أَبَا صَالِحٍ لَقَدْ ضَاعَ ابْنُهُ .

وَلَمْ يَزَلْ صَالِحٌ يَنْصَحُ لِقَوْمِهِ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ بِحِكْمَةٍ وَرَفْقٍ .

يَقُولُ : يَا إِخْوَانِي ! أَتُظُنُّونَ أَنَّكُمْ هُنَا إِلَى الْأَبَدِ؟ .
 أَتُظُنُّونَ أَنَّكُمْ تَسْكُنُونَ فِي هَذِهِ الْقُصُورِ دَائِمًا؟ .
 أَتُظُنُّونَ أَنَّكُمْ لَا تَزَالُونَ فِي هَذِهِ الْبَسَاتِينِ وَالْأَنْهَارِ؟
 وَأَنَّكُمْ لَا تَزَالُونَ تَأْكُلُونَ مِنْ هَذِهِ الزُّرُوعِ وَالْأَشْجَارِ؟
 وَأَنَّكُمْ لَا تَزَالُونَ تَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا؟
 أَبَدًا! أَبَدًا! إِنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ! إِنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ!
 فَلِمَذَا مَاتَ آبَاؤُكُمْ يَا إِخْوَانِي؟!
 كَانَتْ لَهُمْ قُصُورٌ، وَكَانَتْ لَهُمْ كَذَلِكَ بَسَاتِينٌ وَعُيُونٌ .
 وَكَانَتْ لَهُمْ زُرُوعٌ وَنَخِيلٌ، وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ
 بُيُوتًا يَسْكُنُونَ فِيهَا .

وَلَكِنَّ كُلَّ ذَلِكَ لَمْ يَنْفَعَهُمْ! وَلَكِنَّ كُلَّ ذَلِكَ لَمْ يَمْنَعَهُمْ!
 وَوَصَلَ إِلَيْهِمْ مَلَكُ الْمَوْتِ وَوَجَدَ إِلَيْهِمْ سَبِيلًا! كَذَلِكَ
 تَمُوتُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا وَيَبْعَثُكُمُ اللَّهُ وَيَسْأَلُكُمْ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ .

٩ - مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ

وَيَا إِخْوَانِي لِمَاذَا تَفِرُّونَ مِنِّي؟ مَاذَا تَخَافُونَ؟ أَنَا لَا أَنْقِصُ مِنْ مَالِكُمْ شَيْئًا، أَنَا لَا أَطْلُبُ مِنْكُمْ شَيْئًا.
أَنَا أَنْصَحُ لَكُمْ وَأُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٥٩) .
وَيَا إِخْوَانِي لِمَاذَا لَا تُطِيعُونَنِي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ؟
وَلِمَاذَا تُطِيعُونَ الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَهُمْ
وَالَّذِينَ يَفْجُرُونَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ!
وَعَجَزَ الْقَوْمُ وَلَمْ يَجِدُوا عَلَىٰ ذَلِكَ جَوَابًا.
فَقَالُوا: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ (١٥٣) مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ
مِثْلُنَا فَأْتِ بَيِّنَاتٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ .

١٠ - نَاقَةُ اللَّهِ

قَالَ صَالِحٌ: وَأَيَّ آيَةٍ تُرِيدُونَ؟
قَالُوا: إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ هَذَا الْجَبَلِ نَاقَةً
حَامِلًا!

وَكَانَ النَّاسُ يَعْلَمُونَ أَنَّ النَّاقَةَ لَا تَلِدُهَا إِلَّا النَّاقَةُ وَأَنَّ
 النَّاقَةَ لَا تَنْبُتُ مِنَ الْأَرْضِ، وَلَا تَنْتِجُ مِنَ الْحَجَرِ.
 وَأَيُّقُنُوا أَنَّ صَالِحًا سَيُعْجِزُ وَأَنَّهُمْ سَيَنْجَحُونَ!
 وَلَكِنَّ صَالِحًا كَانَ قَوِيًّا الْإِيمَانِ بِرَبِّهِ، وَكَانَ يَعْلَمُ
 أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.
 فَدَعَا اللَّهَ صَالِحٌ، وَكَانَ كَمَا طَلَبَ النَّاسُ، خَرَجَتْ
 مِنَ الْجَبَلِ نَاقَةٌ حَامِلٌ وَوَلَدَتْ.
 وَتَحَيَّرَ النَّاسُ وَدَهَشُوا، وَلَكِنْ لَمْ يُؤْمِنْ مِنْهُمْ إِلَّا وَاحِدٌ.

١١ - النَّوْبَةُ

قَالَ صَالِحٌ: هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ، وَهَذِهِ آيَةُ اللَّهِ! سَأَلْتُمْ
 فَخَلَقَهَا لَكُمْ بِقُدْرَتِهِ.
 فَاحْتَرِمُوا هَذِهِ النَّاقَةَ ﴿وَلَا تَمْشُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ
 قَرِيبٌ﴾.
 وَإِنَّ هَذِهِ النَّاقَةَ تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَتَشْرَبُ وَتَأْتِي
 وَتَذْهَبُ، وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ عِلْفُهَا وَمَاؤُهَا، فَالْعَلْفُ كَثِيرٌ
 وَالْمَاءُ كَثِيرٌ.

وَكَانَتْ هَذِهِ النَّاقَةُ كَبِيرَةً جِدًّا وَغَرِيبَةً فِي الْخَلْقِ،
فَكَانَتْ مَاشِيَّتُهُمْ تَخَافُهَا وَتَنْفِرُ مِنْهَا.

وَكَانَتْ كُلَّمَا جَاءَتْ تَشْرَبُ نَفَرَتِ الْمَاشِيَّةُ وَفَرَّتْ.

رَأَى صَالِحٌ ذَلِكَ فَقَالَ: لِلنَّاقَةِ يَوْمٌ وَلِمَاشِيَّتِكُمْ يَوْمٌ.
فَيَوْمًا تَشْرَبُ هَذِهِ النَّاقَةُ، وَيَوْمًا تَشْرَبُ مَاشِيَّتُكُمْ.
وَكَذَلِكَ كَانَ، فَإِذَا كَانَتْ نَوْبَةُ النَّاقَةِ ذَهَبَتْ فَشَرِبَتْ. وَإِذَا
كَانَتْ نَوْبَةُ مَاشِيَّةِ الْقَوْمِ ذَهَبَتْ فَشَرِبَتْ.

١٢ - طُغْيَانُ ثَمُودَ

وَلَكِنْ اسْتَكْبَرَ الْقَوْمُ وَطَغَوْا، وَقَالُوا لِمَآذَا لَا تَشْرَبُ
مَاشِيَّتُنَا كُلَّ يَوْمٍ.

وَضَجَرَ النَّاسُ مِنْ هَذِهِ النَّاقَةِ الَّتِي تَنْفِرُ مِنْهَا مَاشِيَّتُهُمْ.
وَكَانَ صَالِحٌ قَدْ حَذَّرَهُمْ مِنْ أَنْ يُهَيِّنُوا هَذِهِ النَّاقَةَ،
وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَحْذَرُوا.

قَالُوا: مَنْ يَقْتُلْ هَذِهِ النَّاقَةَ؟

قَامَ رَجُلٌ وَقَالَ أَنَا!

وَقَامَ الْآخَرُ وَقَالَ: أَنَا!

وَذَهَبَ الشَّقِيَّانِ وَجَلَسَا يَتَنَظَّرَانِ خُرُوجَ النَّاقَةِ؛ حَتَّى إِذَا خَرَجَتِ النَّاقَةُ رَمَاهَا الْأَوَّلُ بِسَهْمٍ، وَنَحَرَهَا الثَّانِي فَقَتَلَهَا.

١٣ - الْعَذَابُ

وَلَمَّا عَلِمَ صَالِحٌ أَنَّ النَّاقَةَ قَدْ نُحِرَتْ تَأَسَّفَ وَحَزِنَ جِدًّا؛ وَقَالَ لِلنَّاسِ: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾.

وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَجَالٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ؛ فَحَلَفُوا وَقَالُوا نَقْتُلُ صَالِحًا وَأَهْلَهُ فِي اللَّيْلِ، وَإِذَا سُئِلْنَا نَقُولُ مَا عِنْدَنَا عِلْمٌ، وَلَكِنَّ اللَّهَ حَفِظَ صَالِحًا وَأَهْلَهُ.

وَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ جَاءَهُمُ الْعَذَابُ؛ أَصْبَحُوا كَعَادَتِهِمْ فَإِذَا بِصَيْحَةٍ مَعَ زَلْزَالٍ شَدِيدٍ. صَيْحَةٌ تَفْطَرَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ وَزَلْزَالٌ تَهْدَمَتْ مِنْهُ الْبُيُوتُ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ثُمُودَ شَدِيدًا.

وَمَاتَ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَخَرِبَتْ الْمَدِينَةُ.
وَهَاجَرَ صَالِحٌ وَالْمُؤْمِنُونَ مِنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ الشَّقِيَّةِ.
وَمَا يَصْنَعُونَ فِيهَا؟

وَخَرَجَ صَالِحٌ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى قَوْمِهِ وَهُمْ أَمْوَاتٌ، فَقَالَ
بِصَوْتٍ حَزِينٍ:

﴿يَقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ
لَا تَحِبُّونَ النَّصِيحَ﴾.

وَلَا يَرَى الْإِنْسَانُ الْيَوْمَ هُنَالِكَ إِلَّا قُصُوراً خَالِيَةً وَبِئْسَ
مُعْظَلَةٌ.

وَلَا يَرَى إِلَّا قُرَى مُوْحِشَةً لَيْسَ فِيهَا دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ.
وَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى دِيَارِ ثَمُودَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى
الشَّامِ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا
أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ حَذْراً مِنْ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ
مَا أَصَابَهُمْ».

﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بَعْدًا لِثَمُودَ﴾.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ - مِنْ كِنْعَانَ إِلَى مِصْرَ

انْتَقَلَ يَعْقُوبُ عليه السلام إِلَى مِصْرَ وَانْتَقَلَ مَعَهُ أَوْلَادُهُ.
انْتَقَلُوا إِلَى مِصْرَ لِأَنَّ يُوسُفَ بْنَ يَعْقُوبَ عليه السلام هُوَ
سَيِّدُ مِصْرَ، يَأْمُرُ وَيَنْهَى فِيهَا.
وَكَانُوا فِي كِنْعَانَ يَرْعَوْنَ الْغَنَمَ، وَيَحْلِبُونَ الشَّاةَ
وَيَبِيعُونَ الصُّوفَ.
وَعَبِيدُ يُوسُفَ وَخِدْمَتُهُ يَأْكُلُونَ وَيَنْعَمُونَ فِي مِصْرَ!
فَمَا يَصْنَعُونَ فِي كِنْعَانَ؟ وَلِمَاذَا لَا يَذْهَبُونَ إِلَى مِصْرَ؟
أَرْسَلَ يُوسُفُ إِلَى يَعْقُوبَ وَأَهْلِيهِ، وَطَلَبَهُمْ مِنْ
كِنْعَانَ.
وَكَانَ يُوسُفُ لَا يَطِيبُ لَهُ طَعَامٌ وَلَا شَرَابٌ حَتَّى يَرَى
أَبَاهُ وَإِخْوَتَهُ.

وَكَيْفَ يَطِيبُ لَهُ طَعَامٌ وَشَرَابٌ، وَكَيْفَ يَطِيبُ لَهُ
عَيْشٌ وَهُوَ وَحِيدٌ فِي مِصْرَ؟

وَمَاذَا يَصْنَعُ بِالْقُصُورِ وَأَبُوهُ وَإِخْوَتُهُ فِي بَيْتٍ صَغِيرٍ فِي
كَنْعَانَ؟!

وَجَاءَ يَعْقُوبُ وَأَوْلَادُهُ إِلَى مِصْرَ فَاسْتَقْبَلَهُمْ يُوسُفُ
وَفَرِحَ بِهِمْ فَرَحًا عَظِيمًا.

وَاسْتَقْبَلَتْ مِصْرُ أُسْرَةَ سَيِّدِهَا وَأُسْرَةَ مَلِكِهَا الْكَرِيمِ،
وَفَرِحَتْ بِهَا فَرَحًا عَظِيمًا.

وَأَحَبَّ أَهْلُ مِصْرَ هَذَا الْبَيْتِ الْكَرِيمِ، لِأَنَّهُمْ يُحِبُّونَ
يُوسُفَ لِكَرَمِهِ وَإِحْسَانِهِ إِلَى النَّاسِ.

وَلِأَنَّهُمْ رَأَوْا فِي يُوسُفَ أَخًا نَاصِحًا شَفِيقًا، فَرَأَوْا فِي
يَعْقُوبَ وَالِدًا مَاجِدًا كَرِيمًا.

وَكَانَ يَعْقُوبُ كَبِيرَ الْبِلَادِ وَشَيْخَ مِصْرَ، وَكَانَ أَهْلُ
مِصْرَ لَهُ كَالْأَبْنَاءِ.

وَطَابَتْ لِيَعْقُوبَ وَأَبْنَائِهِ الْإِقَامَةُ فِي مِصْرَ وَصَارَتْ لَهُمْ
وَطْنًا.

وَبَعْدَ مُدَّةٍ مَاتَ يَعْقُوبُ فَحَزِنَ عَلَيْهِ يُوسُفُ وَحَزِنَ عَلَيْهِ أَهْلُ مِصْرَ.

وَدَفَنُوا الشَّيْخَ فِي مِصْرَ وَكَأَنَّهُمْ فَقَدُوا أَبَاهُمْ.

وَبَعْدَ مُدَّةٍ مَاتَ يُوسُفُ أَيْضاً فَكَانَ يَوْماً عَلَى أَهْلِ مِصْرَ شَدِيداً.

وَحَزِنَ عَلَيْهِ أَهْلُ مِصْرَ حُزْناً شَدِيداً وَبَكَوا عَلَيْهِ بُكَاءَ طَوِيلًا.

وَنَسِيَ النَّاسُ أَخْزَانَهُمْ وَكَأَنَّهُمْ لَمْ تُصِبْهُمْ مُصِيبَةٌ قَبْلَ هَذَا الْيَوْمِ.

وَدَفَنُوا يُوسُفَ أَيْضاً وَعَزَّى بَعْضُهُمْ بَعْضاً، فَكَانُوا فِي يُوسُفَ سَوَاءً.

كُلُّ صَغِيرٍ فَقَدَ أَبَاهُ وَكُلُّ كَبِيرٍ فَقَدَ أَخَاهُ.

وَمَشَى النَّاسُ إِلَى إِخْوَةِ يُوسُفَ وَأَبْنَائِهِمْ يُعْزُونَهِمْ.

وَيَقُولُونَ لَهُمْ: أَيُّهَا السَّادَةُ! لَيْسَتْ خَسَارَتُكُمْ الْيَوْمَ أَكْبَرَ مِنْ خَسَارَتِنَا نَحْنُ.

فَقَدْ فَقَدْنَا فِي دَفِينِ الْيَوْمِ أَخًا شَفِيقًا، وَسَيِّدًا رَحِيمًا
وَمَلِكًا عَادِلًا.

هُوَ الَّذِي أَرَّاحَ الْعِبَادَ، وَأَزَالَ الظُّلْمَ مِنَ الْبِلَادِ.
هُوَ الَّذِي مَنَعَ الْكَبِيرَ يَظْلِمُ الصَّغِيرَ، وَمَنَعَ الْقَوِيَّ يَأْكُلُ
الضَّعِيفَ.

هُوَ الَّذِي أَغَاثَ الْمَظْلُومَ، وَأَجَارَ الْخَائِفَ، وَأَطْعَمَ
الْجَائِعَ.

هُوَ الَّذِي هَدَانَا إِلَى الْحَقِّ، وَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ وَكُنَّا قَبْلَ
قُدُومِهِ بِهَائِمَ لَا نَعْرِفُ اللَّهَ وَلَا نَعْرِفُ الْآخِرَةَ.

هُوَ الَّذِي أَغَاثَنَا أَيَّامَ الْمَجَاعَةِ فَكُنَّا نَأْكُلُ وَنَشْبَعُ،
وَالنَّاسُ يَمُوتُونَ فِي الْبِلَادِ الْأُخْرَى.

إِنَّا لَا نَنْسَى مَلِكَنَا الْكَرِيمَ أَبَدًا وَلَا نَنْسَى أَيُّهَا السَّادَةُ
أَنْتُمْ إِخْوَتُهُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ.

وَكَمْ فَرَحَ بِكُمْ سَيِّدُنَا يَوْمَ قُدُومِكُمْ إِلَى مِصْرَ وَكَمْ
فَرَحْنَا بِفَرَحِ سَيِّدِنَا.

فَالْبِلَادُ بِلَادُكُمْ، وَإِنَّا لَكُمْ أَئْيَهَا السَّادَةُ كَمَا كُنَّا فِي
حَيَاةِ سَيِّدِنَا .

٣ - بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي مِصْرَ

وَهَكَذَا كَانَ مُدَّةً طَوِيلَةً!

فَقَدْ حَفِظَ أَهْلُ مِصْرَ مَا قَالُوا وَعَرَفُوا لِلْكَنْعَانِيِّينَ
الْفَضْلَ .

وَكَانَ هَؤُلَاءِ الْكَنْعَانِيُّونَ الَّذِينَ كَانُوا يُدْعَوْنَ «بَنِي
إِسْرَائِيلَ» أَصْحَابَ شَرَفٍ وَأَمْوَالٍ .

وَلَكِنْ تَغَيَّرَتِ الْأَحْوَالُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَدْ فَسَدَتْ
أَخْلَاقُهُمْ، وَتَرَكُوا الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ وَدُعَاءَ الْخَلْقِ
إِلَى اللَّهِ، وَسَقَطُوا عَلَى الدُّنْيَا .

وَتَغَيَّرَ لَهُمُ النَّاسُ أَيْضاً وَصَارُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ بِغَيْرِ مَا
كَانُوا يَنْظُرُونَ إِلَى آبَائِهِمْ .

وَصَارُوا كَسَائِرِ النَّاسِ، لَا يَمْتَارُونَ عَنِ النَّاسِ إِلَّا
بِالنَّسَبِ .

وَصَارَ النَّاسُ يَحْسُدُونَ الْغَنِيَّ مِنْهُمْ، وَيَحْتَقِرُونَ الْفَقِيرَ مِنْهُمْ.

وَصَارَ أَهْلُ مِصْرَ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ كَغَرِيبٍ جَاءَ مِنْ بَلَدٍ آخَرَ.

وَلَيْسَ لَهُ حَقٌّ فِي مِصْرَ.

وَكَانَ أَهْلُ مِصْرَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ هُمْ أَهْلُ الْبِلَادِ وَأَنَّ مِصْرَ لِلْمِصْرِيِّينَ.

وَيَرَى بَعْضُ أَهْلِ مِصْرَ أَنَّ يُوسُفَ كَانَ غَرِيباً جَاءَ مِنْ كَنْعَانَ.

وَاشْتَرَاهُ عَزِيزُ مِصْرَ.

وَلَيْسَ لِلْكَنْعَانِيِّ أَنْ يَحْكُمَ مِصْرَ.

وَنَسِيَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَضْلَ يُوسُفَ وَكَرَمَهُ وَإِحْسَانَهُ.

٤ - فِرْعَوْنُ مِصْرَ

وَجَاءَ عَلَى عَرْشِ مِصْرَ فِرَاعِنَةُ «مُلُوكُ مِصْرَ» يُبْغِضُونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بُغْضاً شَدِيداً.

وَجَاءَ عَلَى عَرْشٍ مِصْرَ مَلِكٌ جَبَّارٌ جَدًّا .
فَكَانَ لَا يَرَى أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَوْلَادِ الْأَنْبِيَاءِ
وَأَنَّهُمْ مِنْ بَيْتِ يُوسُفَ مَلِكِ مِصْرَ الْكَرِيمِ .
بَلْ كَانَ لَا يَرَى أَنَّهُمْ بَشَرٌ يَسْتَحِقُّونَ الرَّحْمَةَ
وَالْإِنْصَافَ .

وَجَاءَ عَلَى عَرْشٍ مِصْرَ مَلِكٌ جَبَّارٌ جَدًّا .
وَكَانَ يَرَى أَنَّ قَوْمَهُ «الْقَبِطُ» مِنْ نَوْعٍ ، وَأَنَّ بَنِي
إِسْرَائِيلَ مِنْ نَوْعٍ آخَرَ .

الْقَبِطُ مِنْ نَوْعِ الْمُلُوكِ خُلِقُوا لِيَحْكُمُوا .
وَبَنُوا إِسْرَائِيلَ مِنْ نَوْعِ الْعَبِيدِ خُلِقُوا لِيُخْدَمُوا .
وَكَانَ فِرْعَوْنُ يُعَامِلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُعَامَلَةَ الْحَمِيرِ
وَالدَّوَابِّ يَسْتَخْدِمُهَا الْإِنْسَانُ وَلَا يُعْطِيهَا إِلَّا قُوَّةَ
يَوْمِهَا .

وَكَانَ فِرْعَوْنُ مَلِكًا جَبَّارًا مُتَكَبِّرًا لَا يَرَى فَوْقَهُ أَحَدًا .
وَكَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ بَلْ كَانَ يَقُولُ : ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾
وَكَانَ مَغْرُورًا بِمُلْكِهِ وَقُصُورِهِ وَقُوَّتِهِ وَيَقُولُ : ﴿أَلَيْسَ

لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥٠﴾
وَكَأَنَّهُ كَانَ خَلِيفَةً لِنَمْرُودَ مَلِكَ بَابِلَ .
وَكَانَ يَغْضَبُ إِذَا عَلِمَ أَحَدًا يَرَى فَوْقَهُ أَحَدًا .
وَدَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَتِهِ وَالسُّجُودِ لَهُ ، وَأَطَاعَهُ
النَّاسُ .

وَامْتَنَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُونَ
بِرُسُلِهِ وَاشْتَدَّ غَضَبُ فِرْعَوْنَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ .

٥ - ذَبْحُ الْأَطْفَالِ

وَذَهَبَ كَاهِنٌ قِبْطِيٌّ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَالَ لَهُ : «يُولَدُ مَوْلُودٌ
فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ يَذْهَبُ مُلْكُكَ عَلَى يَدِهِ» .
وَجُنَّ جُنُودُ فِرْعَوْنَ ، وَأَمَرَ الشُّرْطَةَ أَنْ يَذْبَحُوا كُلَّ
مَوْلُودٍ يُولَدُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ .
وَكَانَ فِرْعَوْنُ يَرَى أَنَّهُ رَبُّ النَّاسِ يَذْبَحُ مَنْ يَشَاءُ
وَيَتْرُكُ مَنْ يَشَاءُ كَصَاحِبِ الْغَنَمِ يَذْبَحُ مِنْ غَنَمِهِ مَا يَشَاءُ
وَيَتْرُكُ مَا يَشَاءُ .

وَانْتَشَرَتْ الشُّرْطَةُ فِي مِصْرَ يُفْتَتَشُونَ وَيَبْحَثُونَ فَإِذَا
عَلِمُوا مَوْلُوداً وُلِدَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَخَذُوهُ وَذَبَحُوهُ كَمَا
تُذْبَحُ النَّعْجَةُ.

وَعَاشَتْ الذُّنَابُ فِي الْغَابَةِ، وَعَاشَتْ الْحَيَّاتُ
وَالْعَقَّارِبُ فِي الْبَلَدِ، وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لَهَا أَحَدٌ.

وَلَكِنْ مَا كَانَ لِمَوْلُودٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعِيشَ فِي
مَمْلَكَةِ فِرْعَوْنَ.

وَذُبِحَ أُلُوفٌ مِنَ الْأَطْفَالِ أَمَامَ آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ.
وَكَانَ الْيَوْمَ الَّذِي يُولَدُ فِيهِ مَوْلُودٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ
يَوْماً عَسِيراً.

وَكَانَ يَوْمَ حُزْنٍ وَبُكَاءٍ.
وَكَانَ الْيَوْمَ الَّذِي يُولَدُ فِيهِ مَوْلُودٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ يَوْمَ
تَعْزِيَةٍ وَرِثَاءٍ.

وَكَانَ يُذْبَحُ مِائَاتٌ مِنَ الْأَطْفَالِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ كَعِيدِ
الْأَضْحَى.

يُذْبَحُ فِيهِ مِائَاتٌ مِنَ الْغَنَمِ وَالنَّعَاجِ وَالْبَقَرِ.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ
طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِّخُّ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ
الْمُفْسِدِينَ ﴿٦﴾﴾

٦ - وَلَادَةُ مُوسَى

وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ مَا كَانَ فِرْعَوْنُ يَخَافُهُ وَيَحْذَرُهُ.
وُلِدَ ذَلِكَ الْمَوْلُودُ الَّذِي قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ يَذْهَبَ مُلْكُ
فِرْعَوْنَ عَلَى يَدِهِ.

وُلِدَ ذَلِكَ الْمَوْلُودُ الَّذِي قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ خَلاصُ
بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى يَدِهِ.

وُلِدَ ذَلِكَ الْمَوْلُودُ الَّذِي قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ يُخْرِجَ النَّاسَ مِنْ
عِبَادَةِ النَّاسِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ.

وُلِدَ ذَلِكَ الْمَوْلُودُ الَّذِي قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ يُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ.

وُلِدَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ عَلَى رَغَمِ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ.
وَعَاشَ مُوسَى ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ عَلَى رَغَمِ الشُّرْطَةِ وَرَقَابَتِهِمْ.

وَلَكِنْ خَافَتْ أُمُّ مُوسَى عَلَى مَوْلُودِهَا الْجَمِيلِ،
وَكَيْفَ لَا تَخَافُ وَعَدُوُّ الْأَطْفَالِ بِمِرْصَادٍ؟

وَكَيْفَ لَا تَخَافُ وَقَدْ اخْتَطَفَتِ الشُّرْطَةُ عَشْرَاتٍ مِنَ
الْأَطْفَالِ مِنْ حِجْرِ الْأُمّهَاتِ فِي أُسْرَتِهَا.

مَاذَا تَصْنَعُ الْأُمُّ الْمِسْكِينَةُ، وَأَيْنَ تُخْفِي هَذَا الْمَوْلُودَ
الْجَمِيلَ وَالشُّرْطَةُ لَهُمْ عُيُونُ الْغُرَابِ، وَشَامَةُ النَّمْلِ.

هُنَالِكَ أَغَاثَ اللَّهُ الْأُمَّ الْمِسْكِينَةَ وَالْهَمَهَا أَنْ تَضَعَهُ
فِي صُنْدُوقٍ وَتُلْقِيَهُ فِي النَّيْلِ.

اللَّهُ أَكْبَرُ! كَيْفَ تَضَعُ الْأُمُّ الْحَنُونَ طِفْلَهَا فِي صُنْدُوقٍ
وَتُلْقِيهِ فِي النَّيْلِ؟!

مَنْ يُرْضِعُ الطِّفْلَ فِي الصَّنْدُوقِ؟ وَكَيْفَ يَتَنَفَّسُ الطِّفْلُ
فِي الصَّنْدُوقِ؟!

كُلْ ذَلِكَ فَكَّرَتْ فِيهِ الْأُمُّ الْحَنُونَ وَلَكِنَّهَا تَوَكَّلَتْ
عَلَى اللَّهِ، وَاعْتَمَدَتْ عَلَى وَحْيِ اللَّهِ.

وَلَيْسَ الْبَيْتُ أَحْفَظَ لِلطِّفْلِ مِنَ الصَّنْدُوقِ!

هَذَا الشَّرْطَةُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَعَدُّوْ الْأَطْفَالِ بِمِرْصَادٍ .
 وَالشَّرْطَةُ لَهُمْ عُيُونُ الْغُرَابِ وَشَامَّةُ النَّمْلِ .
 وَفَعَلَتِ الْأُمُّ الْمِسْكِينَةَ مَا أَمَرَهَا اللَّهُ وَوَضَعَتْ طِفْلَهَا
 الْجَمِيلَ فِي صُنْدُوقٍ وَأَلْقَتْهُ فِي النَّيْلِ .
 وَجَزَعَتِ الْأُمُّ الْحَنُونَ ثُمَّ صَبَرَتْ وَتَوَكَّلَتْ عَلَى اللَّهِ .
 ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ
 فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ
 وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٧) .

٨ - فِي قَصْرِ فِرْعَوْنَ

كَانَ فِرْعَوْنُ لَهُ قُصُورٌ كَثِيرَةٌ عَلَى شَاطِئِ النَّيْلِ .
 وَكَانَ يَتَنَقَّلُ مِنْ قَصْرِ إِلَى قَصْرٍ وَيَتَنَزَّهُ عَلَى شَاطِئِ النَّيْلِ .
 وَكَانَ يَوْمًا جَالِسًا عَلَى شَاطِئِ النَّيْلِ يَتَنَزَّهُ وَيَرَى إِلَى
 النَّهْرِ يَجْرِي تَحْتَ رِجْلَيْهِ .
 وَكَانَتْ مَعَهُ مَلِكَةٌ مِصْرَ تَتَنَزَّهُ مَعَ الْمَلِكِ وَتَرَى إِلَى
 النَّيْلِ يَجْرِي وَبَيْنَمَا يَتَنَزَّهَانِ إِذْ وَقَعَ بَصَرُهُمَا عَلَى صُنْدُوقٍ

تَلْعَبُ بِهِ أَمْوَاجُ النَّيْلِ كَأَنَّمَا تُقْبِلُهُ .
هَلْ تَرَى يَا سَيِّدِي ذَلِكَ الصُّنْدُوقَ ؟
أَيْنَ الصُّنْدُوقُ فِي النَّيْلِ ؟ إِنَّمَا هِيَ خَشَبَةٌ سَقَطَتْ فِي
النَّيْلِ .

لَا يَا سَيِّدِي إِنَّمَا هُوَ صُنْدُوقٌ !
وَقَرَّبَ الصُّنْدُوقُ ، فَقَالَ النَّاسُ : نَعَمْ هَذَا صُنْدُوقٌ !
وَأَمَرَ الْمَلِكُ أَحَدَ الْخَدَمِ ، وَقَالَ : إِلَيْكَ هَذَا
الصُّنْدُوقُ !

وَذَهَبَ الْخَادِمُ وَأَخْرَجَ الصُّنْدُوقُ !
وَفُتِحَ الصُّنْدُوقُ فَإِذَا فِيهِ غُلَامٌ جَمِيلٌ يَتَسِيمُ .
وَتَحَيَّرَ النَّاسُ ، كُلُّ يَأْخُذُهُ وَيَرَاهُ .
وَتَحَيَّرَ فِرْعَوْنُ وَرَاهُ .

قَالَ بَعْضُ الْخَدَمِ : إِنَّ هَذَا الْغُلَامُ إِسْرَائِيلِي وَلَا بُدَّ
لِلْمَلِكِ أَنْ يَذْبَحَهُ .

وَرَأَتْهُ الْمَلِكَةُ ، وَدَخَلَ حُبُّهُ فِي قَلْبِهَا فَضَمَّتْهُ إِلَى
صَدْرِهَا وَقَبَّلَتْهُ .

وَشَفَعَتْ لَهُ عِنْدَ الْمَلِكِ وَقَالَتْ: ﴿قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا
نَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذُهُ وَلَدًا﴾ .

وَهَكَذَا دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ قَصْرَ فِرْعَوْنَ، وَعَاشَ
عَلَى رَغَمِ فِرْعَوْنَ وَشُرْطَتِهِ .

وَلَمْ يَهْتَدِ الشُّرْطَةُ إِلَى هَذَا الْمَوْلُودِ الْإِسْرَائِيلِيِّ، وَلَهُمْ
عُيُونُ الْغُرَابِ وَشَامَةُ النَّمْلِ .

وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُرَبِّيَ فِرْعَوْنَ «عَدُوَّ الْأَطْفَالِ» طِفْلاً
يَذْهَبُ مُلْكُهُ عَلَى يَدِهِ .

مِسْكِينُ فِرْعَوْنَ! لَقَدْ أَخْطَأَ فِي شَأْنِ مُوسَى .

وَقَدْ أَخْطَأَ مَعَهُ وَزِيرُهُ هَامَانُ وَجُنُودُهُ .

﴿فَالْقَطْعُ: ءَالَ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ

فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ .

٩ - مَنْ يُرْضِعُ الطِّفْلَ؟؟

وَكَانَ الطِّفْلُ الْجَدِيدُ وَكَانَ الطِّفْلُ الْجَمِيلُ لُغْبَةً الْقَصْرِ
وَلَهُوَ الدَّارُ .

كُلُّ يَأْخُذُهُ وَيُقَبِّلُهُ، وَكُلُّ يُحِبُّهُ وَيَمْدَحُهُ، لَأَنَّ الْمَلِكَةَ
تُحِبُّهُ حُبًّا عَظِيمًا.

فَكَيْفَ لَا تُحِبُّهُ سَيِّدَاتُ الْقَصْرِ وَكَيْفَ لَا يُحِبُّهُ خَدَمُ
الْقَصْرِ.

وَكُلُّ يَأْخُذُهُ وَيُقَبِّلُهُ، لَأَنَّ الطِّفْلَ جَمِيلٌ.
وَطَلَبَتِ الْمَلِكَةُ مُرْضِعًا تُرْضِعُ الطِّفْلَ، وَجَاءَتْ
وَأَخَذَتِ الطِّفْلَ وَلَكِنَّ الطِّفْلَ يَبْكِي وَيَأْبَى.
وَطَلَبَتِ الْمَلِكَةُ مُرْضِعًا أُخْرَى، وَحَضَرَتْ وَأَخَذَتِ
الطِّفْلَ، وَلَكِنَّ الطِّفْلَ يَبْكِي وَيَأْبَى.

وَتَالِثَةٌ وَرَابِعَةٌ وَخَامِسَةٌ وَلَكِنَّ الطِّفْلَ يَبْكِي وَيَأْبَى.
عَجَبًا! لِمَاذَا لَا يَرْتَضِعُ الطِّفْلُ، لَأَيِّ شَيْءٍ يَبْكِي؟
اجْتَهَدَتِ الْمَرَاضِعُ أَنْ تُرْضِعَ الطِّفْلَ لِتُسِرَّ الْمَلِكَةُ
وَتَنَالَ مِنْهَا جَائِزَةً، وَلَكِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ.
وَأَصْبَحَ الطِّفْلُ حَدِيثَ الْقَصْرِ وَشُغْلَ الدَّارِ.
هَلْ رَأَيْتِ يَا أُخْتِي الطِّفْلَ الْجَدِيدَ؟!!!
نَعَمْ قَدْ رَأَيْتُهُ؛ طِفْلٌ جَمِيلٌ جِدًّا.

وَلَكِنَّهُ طِفْلٌ غَرِيبٌ لَيْسَ كَالْأَطْفَالِ! إِنَّهُ لَا يَرْتَضِعُ.
وَإِذَا أَخَذَتْهُ مُرْضِعٌ يَبْكِي وَيَأْبَى أَنْ يَرْتَضِعَ؛ مِسْكِينٌ
كَيْفَ يَعِيشُ؟ إِنَّهُ يَمُوتُ.
نَعَمْ قَدْ مَضَى عَلَيْهِ أَيَّامٌ وَلَمْ يَرْتَضِعْ.

١٠ - فِي حِجْرِ أُمِّهِ

وَقَالَتِ الْأُمُّ الْحَنُونُ لِأُخْتِ مُوسَى:
اذهبي يا ابنتي وانظري أخاك لَعَلَّهُ حَيٌّ.
إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَنِي أَنَّهُ يَرُدُّ الطِّفْلَ إِلَيَّ وَأَنَّهُ يَحْفَظُهُ.
وَذَهَبَتْ أُخْتُ مُوسَى تَبْحَثُ عَنْ أَخِيهَا.
وَسَمِعَتِ النَّاسَ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ طِفْلٍ جَمِيلٍ فِي قَصْرِ
الْمَلِكِ.

ذَهَبَتِ السَّيِّدَةُ وَوَقَفَتْ تَسْمَعُ حَدِيثَ النِّسَاءِ فِي
الْقَصْرِ.

هَلْ جَاءَتْ الْمُرْضِعُ الَّتِي طَلَبَتْهَا الْمَلِكَةُ مِنْ أَشْوَانٍ؟
نَعَمْ يَا سَيِّدَتِي، وَلَكِنَّ الطِّفْلَ أَبِي أَيْضاً وَلَمْ يَرْتَضِعْ.

يَا سَلَامُ! مَا شَأْنُ هَذَا الطِّفْلِ؟ لَعَلَّ هَذِهِ هِيَ السَّادِسَةُ
الَّتِي جَرَّبَتْهَا الْمَلِكَةُ.

نَعَمْ وَيَقُولُونَ إِنَّهَا مُرْضِعٌ نَظِيفَةٌ جِدًّا وَكُلُّ يَرْتَضِعُ
مِنْهَا.

سَمِعْتُ أُخْتُ مُوسَى هَذَا الْكَلَامَ وَقَالَتْ بِأَدَبٍ وَلُطْفٍ:
أَنَا أَعْرِفُ امْرَأَةً فِي الْبَلَدِ، لَا بُدَّ أَنْ يَرْتَضِعَ مِنْهَا
الطِّفْلُ.

قَالَتْ امْرَأَةٌ: أَنَا لَا أَصَدِّقُ قَدْ جَرَّبْنَا سِتَّ مَرَاضِعَ
وَلَكِنَّ الطِّفْلَ لَمْ يَرْتَضِعْ.

قَالَتْ أُخْرَى: وَلِمَاذَا لَا نُجَرِّبُ السَّابِعَةَ، مَاذَا عَلَيْنَا؟
وَوَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى الْمَلِكَةِ فَطَلَبَتْ الْجَارِيَةَ وَقَالَتْ:
«اذْهَبِي وَخُذِي مَعَكَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ».

وَجَاءَتْ أُمُّ مُوسَى، وَجَاءَتْ خَادِمَةٌ وَقَدَّمَتْ إِلَيْهَا
مُوسَى.

فَاعْتَنَقَ الطِّفْلُ الْمَرْأَةَ وَأَقْبَلَ يَرْتَضِعُ، كَأَنَّهُ كَانَ مِنْهَا
عَلَى مِيعَادٍ.

وَلِمَاذَا لَا يَرْتَضِعُ وَهِيَ أُمُّهُ الْحَنُونُ؟!
 وَلِمَاذَا لَا يَرْتَضِعُ وَهُوَ جَائِعٌ مُنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ؟!
 وَعَجِبَتِ الْمَلِكَةُ وَعَجِبَ أَهْلُ الْقَصْرِ وَارْتَابَ فِرْعَوْنُ
 وَقَالَ: لِمَاذَا قَبِلَ هَذَا الطِّفْلَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ فَهَلْ هِيَ أُمُّهُ؟
 قَالَتْ أُمُّ مُوسَى: يَا سَيِّدِي أَنَا امْرَأَةٌ طَيِّبَةُ الرِّيحِ طَيِّبَةُ
 اللَّبَنِ كُلُّ طِفْلٍ يَقْبَلُنِي.
 وَسَكَتَ فِرْعَوْنُ وَأَجْرَى عَلَيْهَا رِزْقًا.

وَرَجَعَتْ أُمُّ مُوسَى إِلَى بَيْتِهَا وَفِي حِجْرِهَا مُوسَى.
 ﴿فَرَدَّدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَمَا نَقَرْنَا عَنْهَا وَلَا تَحْزَنْ وَلِتَعْلَمِ
 أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾.

١١ - إِلَى قَصْرِ فِرْعَوْنَ

وَلَمَّا أَتَمَّتْ أُمُّ مُوسَى رِضَاعَتَهُ رَدَّتْهُ إِلَى الْقَصْرِ.
 وَنَشَأَ مُوسَى فِي قَصْرِ الْمَلِكِ كَمَا يَنْشَأُ أَبْنَاءُ الْمُلُوكِ.
 وَهَكَذَا زَالَتْ مِنْ قَلْبِ مُوسَى مَهَابَةُ الْمُلُوكِ
 وَالْأَغْنِيَاءِ.

وَرَأَى مُوسَى بِعَيْنَيْهِ كَيْفَ يَنْعَمُ فِرْعَوْنُ وَأَهْلُهُ .
 وَكَيْفَ يَشْقَى بَنُو إِسْرَائِيلَ لِيَنْعَمَ فِرْعَوْنُ وَأَهْلُهُ .
 وَكَيْفَ يَجُوعُ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِتَشْبَعَ دَوَابُّ فِرْعَوْنُ .
 وَكَيْفَ يُعَامِلُونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُعَامَلَةَ الْحَمِيرِ وَالذَّوَابِّ .
 وَكَيْفَ يَسْتَخْدِمُونَهُمْ وَيَسُومُونَهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ .
 وَكَانَ مُوسَى يَرَى ذَلِكَ صَبَاحَ مَسَاءٍ وَيَسْكُتُ .
 وَلَكِنْ كَانَ مُوسَى يَغِيظُهُ ذَلِكَ .
 وَكَيْفَ لَا يَغِيظُهُ إِهَانَةُ قَوْمِهِ وَأُسْرَتِهِ .
 وَهُمْ أَبْنَاءُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَهُمْ أَبْنَاءُ الْكِرَامِ .
 وَمَا ذَنْبُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَيْسُوا أَقْبَاطًا ؟ !
 إِلَّا أَنَّهُمْ مِنْ كَنَعَانَ ؟ !
 هَذَا لَيْسَ بِذَنْبٍ ! هَذَا لَيْسَ بِذَنْبٍ !

١٢ - الضَّرْبَةُ الْقَاضِيَةُ

وَلَمَّا كَانَ مُوسَى شَابًّا قَوِيًّا آتَاهُ اللَّهُ حُكْمًا وَعِلْمًا .
 وَكَانَ مُوسَى يُبْغِضُ الظَّالِمِينَ وَيَكْرَهُهُمْ ، وَيُحِبُّ

الضَّعَفَاءُ وَالْمَظْلُومِينَ وَيَنْصُرُهُمْ وَكَذَلِكَ كُلُّ نَبِيٍّ .
وَدَخَلَ مُوسَى مَدِينَةَ فِرْعَوْنَ مَرَّةً وَالنَّاسُ فِي لَهْوٍ
وَشُغْلٍ .

وَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهَذَا
مِنَ الْأَقْبَاطِ أَعْدَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ .

فَصَرَخَ الْإِسْرَائِيلِيُّ وَنَادَى مُوسَى لِنَصْرِهِ وَشَكَا
الْقِبْطِيَّ .

وَغَضِبَ مُوسَى فَضْرَبَ الْقِبْطِيَّ ، فَكَانَتْ الْقَاضِيَةُ .
وَمَاتَ الْقِبْطِيُّ وَنَدِمَ مُوسَى جِدًّا ، وَعَرَفَ أَنَّ هَذَا مِنْ
عَمَلِ الشَّيْطَانِ .

فَتَابَ مُوسَى إِلَى اللَّهِ وَأَنَابَ وَكَذَلِكَ كُلُّ نَبِيٍّ .
﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ .
وَتَابَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى ، لِأَنَّ مُوسَى لَمْ يَقْصِدْ أَنْ
يَقْتُلَ الْقِبْطِيَّ ، بَلْ ضَرَبَهُ وَلَكِنَّهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ .
وَحَمِدَ اللَّهُ مُوسَى وَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْعَمَ عَلَيَّ وَغَفَرَ
لِي ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ .

وَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ وَيَحْذَرُ مَتَى تَجِيئُهُ
شُرْطَةُ فِرْعَوْنَ وَلَهُمْ عُيُونُ الْغُرَابِ وَشَامَةُ النَّمْلِ .
وَأَصْبَحَ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ مَتَى تَجِيئُهُ الشُّرْطَةُ وَيَأْخُذُونَهُ
إِلَى الْجَبَّارِ .

وَرَأَى الشُّرْطَةُ قَتِيلًا قِبطيًا مِنْ خَدَمِ فِرْعَوْنَ فَفَتَّشُوا عَنْ
الْقَاتِلِ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَهْتَدُوا إِلَيْهِ .
وَمَنْ يَدُلُّهُمْ عَلَى الْقَاتِلِ وَلَا يَعْلَمُهُ إِلَّا مُوسَى
وَالْإِسْرَائِيلِيُّ؟!

وَأَصْبَحَ الْقَتِيلُ حَدِيثَ الْبَلَدِ وَشُغْلَ الْمَدِينَةِ، كُلُّ
يَتَحَدَّثُ عَنْهُ وَلَا يَعْلَمُ قَاتِلَهُ .
وَغَضِبَ فِرْعَوْنَ وَقَالَ لِلشُّرْطَةِ: لَا بُدَّ أَنْ تُفَتِّشُوا عَنْ
الْقَاتِلِ .

١٣ - يَظْهَرُ السِّرُّ

وَفِي الْيَوْمِ الثَّانِي يَرَى مُوسَى ذَلِكَ الْإِسْرَائِيلِيَّ فِي
قِتَالٍ وَخِصَامٍ مَعَ قِبطِيٍّ آخَرَ .

وَمَا اسْتَحَى الْإِسْرَائِيلِيُّ بَلْ صَرَخَ وَنَادَى مُوسَى
لِنُصْرَتِهِ .

قَالَ مُوسَى إِنَّكَ رَجُلٌ وَقِحٌ، أَلَا تَزَالُ فِي قِتَالٍ
وَجِدَالٍ مَعَ النَّاسِ وَلَا تَزَالُ تَصْرُخُ وَتُنَادِينِي .
أَلَا أَزَالُ أَنْصُرُكَ وَأُسَاعِدُكَ ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ .
وَلَكِنْ أَرَادَ مُوسَى أَنْ يُؤَدِّبَ الْقِبْطِيَّ قَلِيلًا وَتَقَدَّمَ
إِلَيْهِمَا .

وَرَأَى الْإِسْرَائِيلِيُّ غَضَبَ مُوسَى وَسَمِعَ مَلَامَهُ .
وَخَافَ أَنْ يَضْرِبَهُ مُوسَى فَتَكُونَ الْقَاضِيَةَ، كَمَا ضَرَبَ
الْقِبْطِيَّ فَكَانَتْ الْقَاضِيَةَ .

﴿قَالَ يَمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ
إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ .
هُنَالِكَ عَرَفَ الْقِبْطِيُّ أَنَّ مُوسَى هُوَ قَاتِلُ أَمْسٍ .
وَذَهَبَ الْقِبْطِيُّ وَأَخْبَرَ الشَّرْطَةَ بِأَنَّ مُوسَى هُوَ الْقَاتِلُ .
وَوَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى فِرْعَوْنَ فَغَضِبَ وَقَالَ: أَذَلِكَ الْفَتَى
رَبِيبُ الْقَصْرِ وَرَضِيعُ الْمُلِكِ؟

وَلَكِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يَنْجُو مُوسَى مِنْ شَرِّ فِرْعَوْنَ
وَشُرْطَتِهِ .

إِنَّ مُوسَى لَمْ يَقْصِدْ أَنْ يَقْتُلَ الْقَبْطِيَّ بَلْ ضَرَبَهُ ضَرْبَةً
كَانَتْ الْقَاضِيَّةَ .

وَلَكِنَّ فِرْعَوْنَ وَشُرْطَتَهُ لَا يُسَلِّمُونَ ذَلِكَ وَلَا يَقْبَلُونَ
لِمُوسَى عُذْرًا .

إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَدَّرَ أَنْ يَذْهَبَ مُلْكُ فِرْعَوْنَ عَلَى يَدِ
مُوسَى ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَدَّرَ أَنْ يَكُونَ خَلَاصُ بَنِي إِسْرَائِيلَ
عَلَى يَدِ مُوسَى .

إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَدَّرَ أَنْ يُخْرِجَ مُوسَى النَّاسَ مِنْ عِبَادَةِ
الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى .

وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ يَدُ الشُّرْطَةِ
الظَّالِمِينَ .

وَكَانَ رِجَالُ فِرْعَوْنَ وَوُزَرَائِهِ يَتَشَاوَرُونَ وَيَعْزِمُونَ عَلَى
قَتْلِ مُوسَى .

وَكَانَ رَجُلٌ يَسْمَعُ كُلَّ ذَلِكَ وَيَعْرِفُهُ فَجَاءَ إِلَى مُوسَى

وَأَخْبَرَهُ بِالْخَبْرِ وَقَالَ: ﴿فَأَخْرِجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ .
﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٢١﴾ .

١٤ - من مصر إلى مدين

وَلَكِنْ إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ مُوسَى، وَمِصْرُ كُلِّهَا مَمْلَكَةٌ
لِفِرْعَوْنَ؟!

وَشُرْطَةُ فِرْعَوْنَ بِالْمِرْصَادِ، وَلَهُمْ عُيُونُ الْغُرَابِ وَشَامَةُ
النَّمْلِ!

أَلْهَمَ اللَّهُ مُوسَى أَنْ يَذْهَبَ إِلَى مَدِينِ الْبَلَدِ الْعَرَبِيِّ،
حَيْثُ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ يَدُ فِرْعَوْنَ.

إِنَّ مَدِينَ بَادِيَّةٍ وَقُرَى لَيْسَ فِيهَا مَدِينَةٌ مِصْرَ.

وَلَيْسَ فِيهَا قُصُورٌ مِصْرَ وَأَسْوَاقٌ مِصْرَ.

وَلَكِنَّهَا بِلَادٌ سَعِيدَةٌ لِأَنَّهَا بَعِيدَةٌ مِنْ فِرْعَوْنَ.

وَأَنَّهَا سَعِيدَةٌ لِأَنَّهَا بِلَادٌ حُرَّةٌ لَيْسَتْ تَحْتَ حُكْمِ
فِرْعَوْنَ.

يَا حَبَّذَا الْبَدَاوَةُ مَعَ الْحُرِّيَّةِ وَالْعَدْلِ.

وَيَا شَقَاوَةَ الْمَدِينَةِ مَعَ الْعُبُودِيَّةِ وَالذُّلِّ .
هُنَالِكَ يُصْبِحُ كُلُّ أَحَدٍ لَا يَخَافُ سَطْوَةَ فِرْعَوْنَ
وَقَهْرِهِ .

وَهُنَالِكَ يَبِيتُ كُلُّ أَحَدٍ لَا يَخَافُ شُرْطَةَ فِرْعَوْنَ وَشَرَّهُ
هُنَالِكَ لَا تُذْبَحُ الْأَبْنَاءُ .

قَصَدَ مُوسَى مَدِينَ . وَخَرَجَ مِنْ مِصْرَ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ
أَيَّتَبِعُهُ أَحَدٌ ، وَلَكِنْ نَامَ عَنْهُ الشُّرْطَةُ .

خَرَجَ مُوسَى عَلَى اسْمِ اللَّهِ يَدْعُو اللَّهَ وَيَطْلُبُ مِنْهُ
النَّصْرَ .

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ
السَّبِيلِ﴾ ﴿٢٣﴾ .

١٥ - فِي مَدِينَ

وَصَلَ مُوسَى إِلَى مَدِينَ ، لَا يَعْرِفُ أَحَدًا وَلَا يَعْرِفُهُ
أَحَدٌ .

فَمَنْ يَأْوِي إِلَيْهِ فِي اللَّيْلِ ؟ وَأَيْنَ يَبِيتُ .

تَحَيَّرَ مُوسَى وَلَكِنَّهُ أُيْقِنَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُهُ.
وَكَانَ هُنَالِكَ بَشَرٌ يَسْقِي عَلَيْهَا النَّاسُ غَنَمَهُمْ
وَمَا شِئْتَهُمْ.

وَوَجَدَ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ غَنَمَهُمَا وَتَنْتَظِرَانِ أَنْ يَسْقِيَ
النَّاسُ فَتَسْقِيَا.

رَأَى مُوسَى ذَلِكَ وَفِي قَلْبِهِ حَنَانٌ الْكَرِيمِ وَشَفَقَهُ الْأَبِ
الرَّحِيمِ.

فَقَالَ: لِمَاذَا لَا تَسْقِيَانِ؟

قَالَتَا: لَا يُمَكِّنُ لَنَا أَنْ نَسْقِيَ غَنَمَنَا حَتَّى يَسْقِيَ
النَّاسُ، لِأَنَّهُمْ أَفْوَِيَاءُ، وَنَحْنُ ضُعَفَاءُ، وَلِأَنَّهُمْ رِجَالٌ
وَنَحْنُ إِنَاثٌ.

وَكَأَنَّمَا عَرَفْتَا أَنَّ مُوسَى سَيَسْأَلُهُمَا: فَلِمَاذَا لَا يَسْقِيَ
أَحَدٌ مِنْ رِجَالٍ يَتِيكُنَّ؟

فَسَبَقَتَا وَقَالَتَا: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾.

وَهَاجَ فِي مُوسَى حَنَانُ الْكَرِيمِ وَسَقَى لَهُمَا وَذَهَبَتَا.
وَأَيْنَ يَذْهَبُ مُوسَى الْآنَ؟!

وَالِىْ اَيْنَ يَأْوِى فِى اللَّيْلِ وَاَيْنَ يَبِيتُ؟ ! إِنَّهُ لَا يَعْرِفُ
أَحَدًا وَلَا يَعْرِفُهُ أَحَدًا!
﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ
خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

١٦ - الطَّلَبُ

وَوَصَلَتِ الْجَارِيتَانِ إِلَى الْبَيْتِ قَبْلَ الْمِيعَادِ فَتَعَجَّبَ
أَبُوهُمَا وَسَأَلَهُمَا عَنِ السَّبَبِ .
وَقَالَ لَهُمَا : مَا أَغْجَلَكُمَا يَا بَنَتَيَّ ، وَكَيْفَ وَصَلْتُمَا
الْيَوْمَ قَبْلَ الْمِيعَادِ؟
قَالَتِ السَّيِّدَتَانِ : قَدْ قَدَّرَ اللَّهُ لَنَا رَجُلًا كَرِيمًا سَقَى
لَنَا .
تَعَجَّبَ الشَّيْخُ وَعَرَفَ أَنَّهُ رَجُلٌ غَرِيبٌ لِأَنَّ أَحَدًا لَمْ
يَرْحَمْهُنَّ يَوْمًا .

قَالَ الشَّيْخُ : وَأَيْنَ تَرَكْتُمَا الرَّجُلَ؟
قَالَتَا : تَرَكْنَاهُ فِي مَكَانِهِ ، رَجُلٌ غَرِيبٌ لَيْسَ لَهُ مَأْوَى !

قَالَ الشَّيْخُ: مَا أَحْسَنْتُمَا يَا بِنْتَيَّ، رَجُلٌ غَرِيبٌ قَدْ
أَحْسَنَ إِلَيْنَا وَلَيْسَ لَهُ مَأْوَى فِي الْبَلَدِ.

إِلَى مَنْ يَأْوِي فِي اللَّيْلِ، وَأَيْنَ يَبِيتُ؟!
إِنَّ لَهُ عَلَيْنَا حَقَّ الضِّيَافَةِ، وَإِنَّ لَهُ عَلَيْنَا حَقَّ
الْإِحْسَانِ!

لِتَذْهَبِ إِحْدَاكُمَا وَتَأْخُذْهُ مَعَهَا.

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى أَسْتَحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكَ أَبِي
يَدْعُوكَ لِجَزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾.

وَعَرَفَ مُوسَى أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَجَابَ دُعَاءَهُ وَبَوَّأَ لَهُ، فَمَا
أَبَى.

وَخَرَجَ مُوسَى أَمَامَهَا لِيَلَّا يَقَعَ نَظْرُهُ عَلَيْهَا، وَمَشَى
مُوسَى مَشْيَ الْكِرَامِ.

وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الشَّيْخِ سَأَلَهُ عَنْ اسْمِهِ وَوَطَنِهِ وَخَبَرِهِ.
وَأَخْبَرَ مُوسَى خَبَرَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ.

سَمِعَ الشَّيْخُ كُلَّ ذَلِكَ بِصَبْرٍ وَهُدُوءٍ، وَلَمَّا انْتَهَى
مُوسَى مِنْ قِصَّتِهِ.

﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

١٧ - الزَّوْاجُ

وَأَقَامُ مُوسَى عِنْدَهُمْ مَقَامَ ضَيْفٍ كَرِيمٍ، بَلْ حَلَّ مِنْهُمْ
مَحَلَّ الْوَلَدِ الْعَزِيزِ.

وَقَالَتْ سَيِّدَةٌ لِّوَالِدِهَا يَوْمًا فِي بَسَاطَةٍ وَطَهَارَةٍ.
﴿يَتَأْتِ اسْتَعْجِرُهُ إِنَّكَ خَيْرٌ مِّنْ اسْتَعْجَرَتْ الْقَوِيُّ
الْأَمِينُ﴾.

قَالَ الشَّيْخُ: وَمَا عِلْمُكَ بِقُوَّتِهِ وَأَمَانَتِهِ يَا بَنِي؟
قَالَتْ: أَمَّا قُوَّتُهُ فَلِأَنَّهُ رَفَعَ الْغِطَاءَ عَنِ الْبِئْرِ وَحَدَّهُ،
وَلَا يَرْفَعُهُ إِلَّا جَمَاعَةٌ.

وَأَمَّا أَمَانَتُهُ يَا أَبَتِ فَلِأَنَّهُ مَشَى أَمَامِي لَا يَنْظُرُ إِلَيَّ
طُولَ الطَّرِيقِ.

وَلَا بُدَّ لِلْأَجِيرِ وَلَا بُدَّ لِلْخَادِمِ أَنْ يَكُونَ قَوِيًّا أَمِينًا.
فَإِذَا لَمْ يَكُنْ قَوِيًّا ضَعَفَ عَنِ الْعَمَلِ.
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ أَمِينًا لَمْ تَنْفَعْنَا قُوَّتُهُ مَعَ خِيَانَتِهِ.

وَوَافَقَ كَلَامُ السَّيِّدَةِ هَوَىَّ فِي قَلْبِ الشَّيْخِ وَلَكِنَّهُ فَكَّرَ
فِي الْمَسْأَلَةِ كَوَالِدٍ .

وَفَكَّرَ فِي الْمَسْأَلَةِ كَشَيْخٍ عَاقِلٍ .

قَالَ الشَّيْخُ فِي نَفْسِهِ : مَنْ ذَا يَكُونُ أَحَقُّ مِنْ هَذَا
الْفَتَى بِأَنْ يَكُونَ صِهْرًا لِي .

وَأَيْنَ أَجْدُ فِي الدُّنْيَا أَفْضَلَ مِنْ هَذَا الشَّابِّ ؟ !

أَمَّا فِي مَدِينٍ فَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا أَهْلًا لِذَلِكَ !

وَلَعَلَّ اللَّهَ قَدْ سَاقَ إِلَيَّ هَذَا الْفَتَى لِيَكُونَ لِي صِهْرًا
وَوَزِيرًا .

فَقَالَ فِي وَقَارٍ وَشَفَقَةٍ وَحِكْمَةٍ :

﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي
ثَمَنِي حَجَجٍ ﴾ .

وَهَذَا هُوَ صِدَاقُكَ ، أَمَّا هَذِهِ السَّنَوَاتُ الثَّمَانِي فَلَا بُدَّ
مِنْهَا .

﴿ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ
عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

خَافَ الشَّيْخُ أَنْ يَذْهَبَ الشَّابُّ بِبَيْتِهِ وَيَبْقَى وَحِيداً .
وَرَأَى الشَّيْخُ أَنْ يُجَرِّبَ الشَّابَّ أَيْضاً حَتَّى إِذَا اِظْمَأَنَّ
إِلَيْهِ وَدَّعَهُ .

وَأَفَقَ مُوسَى عَلَى ذَلِكَ وَرَأَى أَنَّ هَذَا مِنَ اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ
سَيِّارِكُ فِي ذَلِكَ .

إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَاقَهُ إِلَى مَدِينٍ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الشَّيْخِ وَالْقَى
فِي قَلْبِهِ حَنَاناً وَحُبّاً .

فَقَالَ : ﴿ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ﴾ .

وَلَكِنْ أَرَادَ مُوسَى - بِحِكْمَتِهِ وَعَقْلِهِ - أَنْ يَحْفَظَ لَهُ حَقَّ
الْخِيَارِ لَعَلَّهُ يَسْأَلُ فَقَالَ :

﴿ أَيُّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ

وَكِيلٌ ﴾ .

١٨ - إِلَى مِصْرَ

﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ﴾ وَوَدَّعَ الشَّيْخَ

وَوَدَّعَهُ الشَّيْخُ وَدَّعَا لَهُ :

عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ يَا وَلَدِي! فِي أَمَانِ اللَّهِ يَا بِنْتِي!
وَسَافَرَ مُوسَى بِأَهْلِهِ، وَاللَّيْلُ كُلُّهُ بَرْدٌ وَظَلَامٌ.

وَلَكِنْ أَيْنَ النَّارُ فِي الصَّحْرَاءِ؟

وَمَاذَا يَصْنَعَانِ إِذَا لَمْ يَجِدَا نَارًا يَصْطَلِيَانِ بِهَا، وَلَمْ
يَجِدَا نُورًا يَهْتَدِيَانِ بِهِ؟!

وَبَيْنَمَا هُمَا يَسِيرَانِ وَمُوسَى يَبْحَثُ عَنْ نَارٍ ﴿إِذْ رَأَى
نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ
أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾﴾.

وَسَارَ مُوسَى قِبَلَ النَّارِ عَلَى جَنَاحِ الشَّوْقِ.

﴿فَلَمَّا أَنهَا نُودِيَ بِمُوسَى ﴿١١﴾﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ
إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾.

هَنَالِكَ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى وَأَوْحَى إِلَيْهِ.

﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٢﴾﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٣﴾﴾.

وَكَانَ فِي يَدِ مُوسَى عَصًا كَانَتْ يَحْمِلُهَا وَيَسْتَعِينُ بِهَا.
فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسَىٰ﴾ (١٧).

وَأَجَابَ مُوسَىٰ فِي بَسَاطَةٍ وَسَدَاجَةٍ:

﴿هِيَ عَصَايَ﴾.

وَأَخَذَ مُوسَىٰ يَعُدُّ فَوَائِدَ هَذِهِ الْعَصَا فِي تَفْصِيلٍ لِأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُكَلِّمَ اللَّهَ وَيَكُونُ حَدِيثُهُ طَوِيلًا.

﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَازِبُ أُخْرَىٰ﴾.

﴿قَالَ أَلْقَهَا يَمْوَسَىٰ﴾ (١٨).

﴿فَأَلْقَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ (٢٠).

﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ﴾ (٢١).

وَمَنَحَ مُوسَىٰ آيَةً ثَانِيَةً، هِيَ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ فَقَالَ:

﴿وَأَضْمُمُ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ﴾ (٢٢).

﴿أُخْرَىٰ﴾ (٢٢).

١٩ - اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ

وَأَمَرَ اللَّهُ مُوسَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ أَنْ يَشْرَعَ عَمَلَهُ الَّذِي خَلَقَهُ لِأَجَلِهِ.

إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ، إِنَّ فِرْعَوْنَ أَفْسَدَ فِي
الْأَرْضِ.

إِنَّ قَوْمَ فِرْعَوْنَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، إِنَّ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَفْسَدُوا
فِي أَرْضِ اللَّهِ.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ.

فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَذْهَبَ مُوسَى إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ﴿إِنَّهُمْ
كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

لَكِنْ كَيْفَ يَذْهَبُ مُوسَى إِلَى فِرْعَوْنَ وَكَيْفَ يُوَاجِهُ
الْجَبَّارَ.

وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الْقَبِيضِيَّ بِالْأَمْسِ وَمَا أَمْسٍ بِبَعِيدٍ!
وَهُوَ الَّذِي خَرَجَ مِنْ مِصْرَ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ، وَيَعْرِفُهُ
الشُّرَطَةُ وَيَعْرِفُهُ أَهْلُ الْقَصْرِ.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (٣٣).

وَذَكَرَ مُوسَى أَنَّ فِي لِسَانِهِ حُبْسَةً.
وَلَكِنَّ اللَّهَ كَانَ يَعْرِفُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُرِيدُ أَنْ يَذْهَبَ
مُوسَى رَغْمَ ذَلِكَ كُلِّهِ.

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ
فِرْعَوْنَ لَا يَسْمَعُونَ ۖ﴾ ﴿١١﴾﴾ .

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا
يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴿١٣﴾﴾ .

﴿وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾ .

﴿قَالَ كَلَّا فَإِذْ هَبَا بِشَأْنِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾﴾ .

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ .

﴿أَن أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٧﴾﴾ .

وَأَوْصَىٰ اللَّهُ مُوسَىٰ وَهَارُونَ بِاللَّيْلِ وَالرُّفُقِ مَعَ
فِرْعَوْنَ .

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرُّفُقَ مَعَ أَعْدَائِهِ إِلَىٰ حَدٍّ فَقَالَ :

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ .

٢٠ - أَمَامَ فِرْعَوْنَ

وَجَاءَ مُوسَىٰ وَهَارُونُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَامَا فِي مَجْلِسِهِ
يَدْعُوَانِهِ إِلَى اللَّهِ .